

الحوار بين أتباع الأديان والثقافات في القرآن الكريم

دراسة موضوعية

تأليف
أ. د. عادل بن علي الشدي
أستاذ الدراسات القرآنية . جامعة الملك سعود





www.madaralwatan.com

ⓒ مدار الوطن للنشر، ١٤٤٠هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الشدي، عادل علي
الحوار بين أتباع الأديان والثقافات في القرآن الكريم، دراسة موضوعية ./ عادل بن علي الشدي - الرياض، ١٤٤٠هـ
١٢٨ ص ؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك: ١ - ١٣ - ٨٢٤٢ - ٦٠٣ - ٩٧٨
١- الحوار بين الأديان أ- العنوان
ديوي ٢١٣ ١٤٤٠/١٦١٨

رقم الإيداع: ١٤٤٠/١٦١٨
ردمك: ١-١٣-٨٢٤٢-٦٠٣-٩٧٨



الطبعة الأولى
(١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م)



المملكة العربية السعودية - الرياض المقر الرئيسي
مخرج ١٥ مقابل جامع الراجحي ت: ٠١١٤٧٩٢٠٤٢ -
٠١١٢٣١٣٠١٨ جوال: ٠٥٠٣٢٨٢٣١٨ ف: ٠١١٤٤٥٤١٢٤
مندوبي التوزيع
الرياض: ٠٥٠٣٢٦٩٣١٦ الغربية: ٠٥٠٤١٤٣١٩٨
الشرقية الشمالية: ٠٥٠٣١٩٣٢٦٨ التوزيع الخيري
الجنوبية: ٠٥٠٤١٤٣١٩٨ مسؤول الجهات الحكومية:
٠٥٠٠٩٩٦٩٨٧
الموقع الإلكتروني www.madaralwatan.com.sa
البريد الإلكتروني pop@madaralwatan.com.sa
madaralwatan@hotmail.com
madaralwatan2020@gmail.com



المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان وكرمّه، وهداه سبل الخير وعلمّه، واقتضت حكمته اختلاف الناس في عقائدهم وشرائعهم ومناهجهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾ [هود:١١٨-١١٩].

وبعد، فإن موضوع الحوار بين أتباع الأديان والثقافات موضوع بات في نظر الكثيرين ضرورة أملاها واقع الأمة الإسلامية والأمم الأخرى، وقد تعددت وتنوعت الكتابات حوله، إلا أن الانطباع السائد للقارئ حول الموضوع هو أن الكثيرين ينظرون إليه وكأنه إحدى متطلبات العصر لحماية الذات وصون المكتسبات، وهو ما دفعني للبحث حول صحة هذه النظرية؛ لمعرفة جذور الحوار في الثقافة الإسلامية، وهل هو مرتبط بقوة الدولة الإسلامية؟ أم هو ثقافة شرعية عرفها المجتمع الإسلامي في أوقات ضعفه وقوته؟

ولما كان القرآن المصدر الأول للتشريع الإسلامي، وقد حظي من لدن علماء المسلمين منذ نزوله وإلى اليوم بالاهتمام الكبير؛ حفظًا، وتعليمًا، وتفسيرًا، فقد جعلته مجالًا للبحث، بحيث يكون التركيز على الآيات المتعلقة بالحوار؛ تأصيلًا، ومنهجًا، متتبعًا في ذلك أهم ما ذكره أهل التفسير في عصورهم المختلفة، ومركزًا على أسباب نزول الآيات؛ لما لها من أهمية في استيعاب مضمون هذه الآيات من جهة، وربطها بالواقع المعاش وقت النزول، وصولًا إلى المقارنة بالواقع المعاصر.

مؤمِّلًا أن أواكب من خلال هذا الجهد البحثي المبادرات النوعيّة للمملكة العربية السعودية في الحوار بين أتباع الأديان والثقافات، وأن أسهم في تبيان أصالة هذه الدعوة، وأنا أحيي بها سنة عرفت ركودًا واضمحلالًا في العصور المتأخرة.

وسأتناول هذا البحث من خلال جملة فصول ومباحث تنتظمها الخطة الآتية:

التمهيد: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الحوار والألفاظ ذات الصلة.

المطلب الثاني: أهمية الحوار.

الفصل الأول: أصول الحوار بين أتباع الأديان والثقافات في القرآن الكريم، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الأصول العامة للحوار بين أتباع الأديان والثقافات في القرآن الكريم، وفيه: ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الأمر بالتعارف، وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: سبب نزول قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾[الحجرات:١٣].

المسألة الثانية: تفسير مفردات الآية.

المسألة الثالثة: التفسير الإجمالي للآية.

المسألة الرابعة: تنزيل الآية على الواقع.

المطلب الثاني: الأمر بالتعاون، وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[المائدة:٢].

المسألة الثانية: المراد بالتعاون وبالبر.

المسألة الثالثة: تنزيل الآية على الواقع.

المطلب الثالث: البر بالمسالمين من أتباع الأديان والثقافات، وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: سبب نزول قول الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨)﴾[الممتحنة:٨].

المسألة الثانية: تفسير مفردات الآية.

المسألة الثالثة: أقوال المفسرين في الآية.

المسألة الرابعة: تنزيل الآية على الواقع.

المبحث الثاني: أصول الحوار مع أهل الكتاب في القرآن الكريم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الدعوة للإنصاف والعدل، وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: سبب نزول ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾[آل عمران:٦٤].

المسألة الثانية: أقوال المفسرين في الآية.

المسألة الثالثة: تنزيل الآية على الواقع.

المطلب الثاني: الأمر بمجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: تفسير ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت:٤٦].

المسألة الثانية: البيان العملي من النبي ﷺ للآية، وفيه فقرتان:

الفقرة الأولى: محاورة النبي ﷺ لليهود بداية العهد المدني.

الفقرة الثانية: محاورة النبي ﷺ نصارى نجران في آخر حياته.

المبحث الثالث: أصول الحوار مع المشركين في القرآن الكريم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التأسي بالرسول ﷺ في محاورته للمشركين، وفيه: أربع مسائل:

المسألة الأولى: محاورة مشركي قريش قبل البعثة.

المسألة الثانية: محاورة النبي ﷺ أبا الوليد بعد البعثة.

المسألة الثالثة: المحاورة عند صلح الحديبية.

المسألة الرابعة: ما يستفاد من هذه الحوارات.

المطلب الثاني: التأسي بالأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ في محاورتهم المشركين، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: تفسير ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ [الأنعام:٩٠].

المسألة الثانية: محاورة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ للمشركين في القرآن الكريم، إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ نموذجًا.

الفصل الثاني: موضوعات الحوار وأخلاقياته في القرآن الكريم، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: موضوعات الحوار في القرآن الكريم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: موضوعات الحوار الدعوي في القرآن الكريم، وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: الدعوة للتوحيد.

المسألة الثانية: إثبات أوجه الخطأ عند المخالفين.

المسألة الثالثة: رد الشبهات والطعن في الإسلام.

المطلب الثاني: موضوعات الحوار التعاوني لخدمة المشتركات الإنسانية، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: عمارة الأرض.

المسألة الثانية: علاج المشكلات المشتركة، وفيه سبع فقرات:

الفقرة الأولى: مشكلة التفكك الأسري.

الفقرة الثانية: مشكلة الشذوذ الجنسي.

الفقرة الثالثة: مشكلة الخواء الروحي وانتشار الإلحاد.

الفقرة الرابعة: مشكلة المسكرات والمخدرات.

الفقرة الخامسة: مشكلة الظلم والاحتلال وضحايا الحروب والكوارث المختلفة.

الفقرة السادسة: مشكلة الجهل والتخلف في ميادين التنمية.

الفقرة السابعة: مشكلة الإرهاب والاعتداء على المسالمين والمعاهدين.

المبحث الثاني: أخلاقيات الحوار في القرآن الكريم، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: احترام المحاور التدرج في الحوار.

المطلب الثاني: مراعاة نقاط الاشتراك والإقرار بالخلاف.

المطلب الثالث: آداب الحوار من خلال نموذج حوارات الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

الفصل الثالث: مسيرة الحوار وآثارها بين أتباع الأديان والثقافات؛ وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أنواع الحوارات بين أتباع الأديان والثقافات، وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: الحوار التقريبي التذويبي.

المطلب الثاني: الحوار الدعائي التبشيري.

المطلب الثالث: الحوار الاستعلائي الإملائي.

المطلب الرابع: الحوار الجدلي الإفحامي.

المطلب الخامس: الحوار النقدي الاستفزازي.

المطلب السادس: الحوار الاستعدائي التخويفي.



المطلب السابع: الحوار التعاوني الإيجابي.

المبحث الثاني: مبادرات الحوار؛ "مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار بين أتباع الأديان والثقافات" نموذجا، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: فكرة المبادرة ومراحلها؛ وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: فكرة المبادرة.

المسألة الثانية: مراحل المبادرة.

المطلب الثاني: أبرز آثار مبادرة خادم الحرمين للحوار.



التمهيد

المطلب الأول: تعريف الحوار والألفاظ ذات الصلة

المسألة الأولى: تعريف الحوار:

الحوار في اللغة أصله من الحَور، وهو الرجوع من الشيء وإلى الشيء[١]، ومنه قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ١٤﴾ [الانشقاق:١٤] أي: يرجع إلى ربه[٢]، قال لبيد[٣]:

وما المرءُ إلا كالشهاب وضوئه ** يحورُ رمادًا بعد إذ ساطع[٤]

والتحاور: مراجعة الكلام؛ يقال تحاور القوم أي: تراجعوا الكلام بينهم، والتحاور: التجاوب[٥]، قال القرطبي: ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ [المجادلة:١] تحاورك أي: تراجعك الكلام[٦]، ويأتي الحوار بمعنى المخاطبة، قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ [الكهف:٣٤]: وهو يخاطبه ويكلمه[٧]، قال ابن عاشور: التحاور: تفاعل من حار إذا أجاب؛ فالتحاور حصول الجواب من

---

(١) لسان العرب، باب الراء فصل الحاء: (٤/ ٢١٧)، والقاموس المحيط: باب الراء، فصل الحاء: (٢/ ٢٣).

(٢) تفسير الثعالبي: (٤/ ٣٩٩)، والمفردات في غريب القرآن: (ص١٣٤)، والجامع لأحكام القرآن: (١٩/ ٢٧٣).

(٣) ديوان لبيد بن ربيعة: (ص٣٠)، ونهاية الأرب في فنون الأدب: (٣/ ٦٤).

(٤) قائل هذا البيت هو المقنع الكندي كما في شرح ديوان الحماسة: (٢/ ١٧٣٤)، وخزانة الأدب: (٣/ ٣٧٠).

(٥) الصحاح: (٢/ ٢٩٨)، والقاموس المحيط: (٢/ ٢٤).

(٦) الجامع لأحكام القرآن: (١٧/ ٢٧٣).

(٧) تفسير الطبري: (١٨/ ٢٢).

جانبين؛ فاقتضت مراجعة بين شخصين[١]، فالحوار إذًا: «**حديث يجري بين شخصين**»[٢].

والحوار في الاصطلاح لا يخرج عن المعنى اللغوي فهو المرادة في الكلام[٣]، وقد عرفه بعض الباحثين المعاصرين بأنه «**الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة، فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر**»[٤].

المسألة الثانية: الألفاظ ذات الصلة بالحوار:

هناك ألفاظ قوية الشبة بالحوار بالمعنى المتقدم يحسن التمييز بينه وبينها، وهذه الألفاظ هي: الجدل، والمناظرة.

الجدل: في اللغة مأخوذ من الجدْل ومعناه: شدة الفتل، يقال: «جدلت الحبل أجدله جدلًا إذا شددت فتله، ومنه قيل لزمام الناقة الجديل»[٥].

والجدل في الاصطلاح هو: «القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات»[٦].

ويظهر من تعريف الجدل أن بينه وبين الحوار عموما وخصوصا مطلقا؛ إذ إنهما يلتقيان في أن كلا منهما حديث أو مناقشة بين طرفين، إلا أن الحوار لا يشترط فيه أن يكون الكلام مركبا بنسق منطقي معين، بل كل تراجع للكلام يعد حوارا، ولا بد في الحوار أن يركب الكلام فيه وفق نسق منطقي معين ليكون جدلا، كما أن

(١) التحرير والتنوير: (٢٨/ ٩).
(٢) المعجم الوسيط: (١٥/ ٢٠٥).
(٣) التوقيف على مهمات التعاريف: (ص٢٩٩).
(٤) في أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (ص١١).
(٥) لسان العرب، باب اللام، فصل الجيم: (١١/ ١٠٣).
(٦) التعريفات: (ص ١٠١).



الحوار يعم من جهة أنه قد لا يقصد منه بالضرورة إلزام الخصم، بينما المجادلة عند بعض أهل العلم تعني «المنازعة، لا لإظهار الحق، بل لإلزام الخصم»(١)، ويشهد لهذا المعنى أن أكثر استعمالات القرآن الكريم للجدل تكون في المواضع غير المرضي عنها(٢)، ومنها قول الله تعالى: ﴿ وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ [غافر:٥].

المناظرة: قال الجرجاني: «المناظرة لغة من النظير، أو من النظر بالبصيرة، واصطلاحًا هي النظر بالبصيرة من الجانبين، في النسبة بين الشيئين إظهارًا للصواب»(٣).

إن هذا التعريف للمناظرة يظهر أن بينها وبين الحوار مطابقة؛ إذ في كل منهما مراجعة في الكلام بعد تأمل ونظر، إلا أن الغالب في المناظرة أن تكون في محالِّ الخلاف، بينما يكون الحوار فيها وفي محالِّ الاتفاق أيضًا.

---

(١) آداب البحث والمناظرة: ص(٢٧٢-٢٧٣).
(٢) الحوار وآدابه في الإسلام، للدكتور عبد الله المشوخي، (ص١٢)، وفي أصول الحوار، (ص٩).
(٣) التعريفات: (ص٦٦٤-٦٦٥).



المطلب الثاني: أهمية الحوار

لقد استخلف الله الإنسان في هذه الأرض لعمارتها، ومنحه قدرات ذاتية تعينه في أداء مهمته، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل:٧٨]، وأرسل إليه رسلًا تدله على ما يحتاج إليه مما قصرت قدراته عن إدراكه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

والمتأمل في هذه القدرات التي امتن الله بها على الإنسان يجدها كلها أدوات للحوار؛ فالسمع والبصر والفؤاد كلها وسائل للحوار، فهي أدوات بيان وإقناع بها تبلغ الرسل ما أرسلت به، وهي أيضا وسائل فهم واقتناع بها يفهم المرسَل إليهم الخطاب.

ومن ثمّ فلا غرو أن يهتم القرآن الكريم بالحوار اهتمامًا كبيرًا؛ ليلفت الانتباه إلى أهميته باعتباره الأسلوب الأمثل لإقناع المستهدفين بالخطاب الشرعي، فالحوار إذًا ثابت قيمي في الدعوة إلى الإسلام؛ ولذا وردت لفظة: (قال) التي تتصدر عادة الحوارات في القرآن الكريم (٥٢٧) مرة[١].

وقد تعددت الحوارات في القرآن موضوعًا وأطرافًا: فجاء الحوار مثلا عن التوحيد، والبعث، وأخبار الأمم، وجاء الحوار بين الله سبحانه تعالى وملائكته، وبينه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وبعض رسله كإبراهيم وموسى وعيسى عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، وانتهجت

(١) الحوار؛ آدابه ومنطلقاته، أ.شمس الدين خوجة، (ص٢٠)، والمسلم المعاصر: (ص١١٨)، من مقال للأستاذ عمر بهاء الدين الأميري.

الرسل سبيل الحوار في إيصال الرسالات إلى أقوامهم كما سطر القرآن الكريم تلك الحوارات في أكثر من سورة.

تلك الحوارات المبثوثة في سور القرآن وآياته كان لها دور كبير في صياغة "الروح الحوارية" عند الإنسان المسلم التي تجسدت في علاقات الإسلام وأمته وحضارته مع الآخرين[١]، فقد كان الحوار حاضرًا في تعاملات المسلمين مع غيرهم، فكان رسول الله ﷺ إذا أنفذ جيشًا أمر قادته بالحوار: روى سليمان بن بريدة عن أبيه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميرًا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: «**اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال -أو خلال-، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكُفّ عنهم**»[٢]، وعلى خطى النبي ﷺ سار خلفاؤه وقادة المسلمين، وشاع تبني المسلمين لمنهج الحوار مع المخالفين في كتب التراث الإسلامي، حتى أمكن القول إن الإسلام هو دين الحوار والتعايش السلمي[٣].



---

(١) في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام: (ص١٥٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء، (ص٧٢٠)، (ح١٧٣١).

(٣) الحوار في الإسلام للدكتور حسين حسان: (ص٦٠).

الفصل الأول

اصول الحوار بين اتباع الأديان والثقافات

في القرآن الكريم



المبحث الأول: الأصول العامة للحوار بين أتباع الأديان والثقافات في القرآن الكريم

المطلب الأول: الأمر بالتعارف

المسألة الأولى: سبب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات:١٣]:

ذكر أهل التفسير في سبب نزول الآية أقوالًا متعددة:

- فقيل: نزلت الآية في أبي هند حين أمر رسول الله ﷺ بني بياضة أن يزوجوه امرأة منهم، فقالوا لرسول الله ﷺ: نزوج بناتنا موالينا؟ فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ الآية، قال الزهري: نزلت في أبي هند خاصة.

- وقيل: إنها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، وقوله في الرجل الذي لم يتفسح له: ابن فلانة! فقال النبي ﷺ: «**من الذاكر فلانة**»؟ قال ثابت: أنا يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: «**انظر في وجوه القوم**»، فنظر، فقال: «**ما رأيت**»؟ قال: رأيت أبيض وأسود وأحمر، فقال: «**فإنك لا تفضلهم إلا بالتقوى**»، فنزلت الآية[1].

- وجاء عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: «لما كان يوم فتح مكة أمر النبي ﷺ بلالًا حتى علا على ظهر الكعبة فأذن، فقال عتاب بن أسيد بن أبي العيص: الحمد لله الذي قبض أبي حتى لا يرى هذا اليوم. قال الحارث بن هشام: ما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا. وقال سهيل بن عمرو: إن يرد الله شيئًا يغيره.

(١) الكشف والبيان: (٩/ ٨٦)، والجامع لأحكام القرآن: (١٦/ ٣٤٠-٣٤١)، والدر المنثور: (٧/ ٥٧٨).

وقال أبو سفيان: إني لا أقول شيئا أخاف أن يخبر به رب السماء، فأتى جبريل النبي ﷺ وأخبره بما قالوا، فدعاهم وسألهم عما قالوا فأقروا، فأنزل الله تعالى هذه الآية»[١].

المسألة الثانية: تفسير مفردات الآية:

- قوله تعالى: ﴿خَلَقْنَاكُم﴾ أي: أنشأناكم[٢].

- وقوله: ﴿مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ أي: من ماء ذكر وأنثى، يعني: آدم وحواء[٣]، أو كل أحد منكم من أب وأم، فكل واحد منكم مساوٍ للآخر في ذلك الوجه، فلا وجه للتفاخر[٤].

- وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾ قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «الشعوب: الجمهور، مثل مضر، والقبائل: الأفخاذ، وقال مجاهد: الشعوب البعيد من النسب، والقبائل دون ذلك»[٥]، وقال الإمام الطبري: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾ أي: «جعلناكم متناسبين، فبعضكم يناسب بعضا نسبًا بعيدًا، وبعضكم يناسب بعضا نسبًا قريبًا»[٦]. فالشعوب: رؤوس القبائل، مثل ربيعة ومضر والأوس والخزرج، وأحدها: شَعْب بفتح الشين، سموا به لتشعبهم واجتماعهم كشعب أغصان الشجرة[٧].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: (١٦/ ٣٤٠).
(٢) تفسير الطبري: (٢٢/ ٣٠٩).
(٣) تفسير الطبري:(٢٢/ ٣٠٩)، والجامع لأحكام القرآن:(١٦/ ٣٤٠).
(٤) التفسير الكبير للرازي: (٢٨/ ١١٧)، وتفسير البحر المحيط، (٨/ ١٠٣).
(٥) الجامع لأحكام القرآن: (١٦/ ٣٤٤).
(٦) تفسير الطبري: (٢٢/ ٣٠٩).
(٧) تفسير الطبري:(٢٢/ ٣١٢)، والجامع لأحكام القرآن: (١٦/ ٣٤٣-٣٤٤).

وقيل: الشعب «هو الطبقة الأولى من الطبقات الست التي عليها العرب، وهي: الشعب، والقبيلة، والعمارة، والبطن، والفخذ، والفصيلة؛ فالشعب يجمع القبائل، والقبيلة تجمع العمائر، والعمارة تجمع البطون، والبطن يجمع الأفخاذ، والفخذ يجمع الفصائل؛ فخزيمة شعب، وكنانة قبيلة، وقريش عمارة، وقصي بطن، وهاشم فخذ، والعباس فصيلة»[١].

وقيل: إن الشعوب عرب اليمن من قحطان، والقبائل من ربيعة ومضر وسائر عدنان، وقيل: إن الشعوب بطون العجم، والقبائل بطون العرب، وقيل: غير ذلك[٢].

- وقوله تعالى: ﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ مضارع تعارف، محذوف التاء، والمراد: ليعرف بعضكم بعضا في النسب[٣].

المسألة الثالثة: التفسير الإجمالي للآية:

تتقارب آراء المفسرين في هذه الآية الكريمة، فهم يرون أن الحكمة من جعل الله سبحانه تعالى الناس شعوبًا وقبائل هي التعارف، بدليل التخصيص بالذكر والسكوت في معرض البيان[٤]، وهذا التعارف بلا شك مقتضٍ للتعاون؛ فإنه متى عرف بعض الناس بعضا وُصلت الأرحام وتُبينت الأنساب، وحل

---

(١) أضواء البيان: (٧/ ٤١٨).

(٢) تفسير الطبري:(٢٢/ ٣١٢)، والجامع لأحكام القرآن: (١٦/ ٣٤٣-٣٤٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل: (٤/ ٦١).

(٣) تفسير الطبري: (٢٢/ ٣١٢)، وتفسير البغوي: (٧/ ٣٤٨)، وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: (٥/ ١٢٨).

(٤) روح المعاني: (٢٦/ ١٦٢)، وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: (٥/ ١٣١).

الانسجام والوئام بدل التناحر والخصام، فالإسلام دين سماوي لا نظر فيه إلى الألوان ولا إلى العناصر، ولا إلى الجهات، وإنما المعتبر فيه تقوى الله جل وعلا[(١)]، وما اختلاف الألسنة والألوان، واختلاف الطباع والأخلاق، واختلاف المواهب والاستعدادات، إلا تنوع إيجابي يقتضي التعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات، ومتى أدرك الناس الحكمة من هذا التنوع توارت جميع أسباب النزاع والخصومات بين بني البشر.

المسألة الرابعة: تنزيل الآية على الواقع:

التعددية سنة إلهية كونية، وسمة غالبة في الشريعة الإسلامية؛ فقد اقتضت حكمة الله سبحانه أن تتعدد الأعراق ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ [الحجرات:١٣]، وتتعدد الألسنة والألوان ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ﴾ [الروم:٢٢]، وهذه التعددية نلمسها حتى في صيغ الخطاب التي ترد في القرآن الكريم: فإنه يعم ويخص في المؤمنين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الأنفال:١٥]، و ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأنفال:٦٤]، ويعم ويخص في غير المؤمنين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [التحريم:٧]، و ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [النساء:٤٧]، ويعم أحيانا الجميع مؤمنين وغيرهم فيكون بصيغة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة:٢١]، وذلك عندما يكون الخطاب موجهًا للإنسان من حيث هو إنسان، وعندما يتناول موضوعًا يتعلق به من حيث هو، ومن ذلك التعارف الذي به يدرك الإنسان نسبته إلى المحيط من حوله، وما يحتاجه من هذا المحيط وما يمكنه أن يقدمه له، فقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ

(١) أضواء البيان: (٧/ ٤١٨).



شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ [الحجرات:١٣]، فجاء النداء عاما للإشارة -والله تعالى أعلم- إلى أن مطلب التعارف مطلب إنساني لا يخص المؤمن دون غيره، فالكل محتاج ومدعو لبذل الأسباب الموصلة إلى التعارف، ومن جملة تلك الأسباب الموصلة لهذا التعارف وأجداها: الحوار؛ ولذا لم يكن الحوار في الإسلام مجرد فضيلة فحسب، بل فريضة من فرائض الإسلام[١].

وهذه الآية ونظيراتها في القرآن الكريم تصلح أساسًا ومظلة للحوارات التي بات يدعو إليها ليس فقط قادة العمل الإسلامي، بل منصفو العالم أجمعهم، وذلك لتحويل اختلاف الألسنة والألوان، واختلاف الطباع والأخلاق، واختلاف المواهب والاستعدادات بين بني البشر، من باعث على النزاع والشقاق إلى باعث للحوار والاتفاق.

وإذا كان التعارف ينصرف قديما إلى معرفة النسب والدين، فإنه اليوم يشمل معرفة كل شيء عن الطرف الآخر: اقتصادًا، وسياسة، واجتماعًا، وغير ذلك؛ إذ إن التعاون الذي هو ثمرة التعارف يقتضي الاطلاع على كل ذلك لتحقيق أكبر تعاون وعلى أوسع نطاق.

---

(١) فقه المواجهة بين الإسلام والغرب: (ص١٥٦).

المطلب الثاني: الأمر بالتعاون

المسألة الأولى: سبب نزول قول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾:

يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

سبب نزول الآية: نزلت الآية في الحطم، واسمه شريح بن ضبيعة البكري، أتى المدينة وخلّف خيله خارج المدينة، ودخل وحده على النبي ﷺ فقال له: إلامَ تدعو الناس؟ فقال: «إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة»، فقال: حسن، إلا أن لي أمراء لا أقطع أمرًا دونهم، ولعلي أسلم وآتي بهم، وقد كان النبي ﷺ قال لأصحابه: «يدخل عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان»، ثم خرج شُرَيْحٌ من عنده، فقال رسول الله ﷺ: «لقد دخل بوجه كافر، وخرج بقفا غادر، وما الرجل بمسلم»، فمر بسرح المدينة فاستاقه وانطلق، فتبعوه ولم يدركوه، فلما كان العام المقبل خرج حاجًّا في حجاج بكر بن وائل من اليمامة، ومعه تجارة عظيمة، وقد قلدوا الهدي، فقال المسلمون للنبي ﷺ: هذا الحطم قد خرج حاجًّا، فخلِّ بيننا وبينه، فقال النبي ﷺ: «إنّه قد قلد الهدي»، فقالوا: يا رسول الله، هذا شيء كنا نفعله في الجاهلية، فأبى النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ الآية[١].

(١) تفسير البغوي: (٢/ ٧)، وتفسير البيضاوي: (٢/ ١١٤)، واللباب في علوم الكتاب: (٧/ ١٧٥-١٧٦).

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ فإن النبي ﷺ لما كان بالحديبية وأصحابه وقد صدهم المشركون عن البيت، واشتد ذلك عليهم، مر بهم أناس من المشركين من أهل المشرق، يريدون العمرة، فقال أصحاب النبي ﷺ: نصد هؤلاء كما صدنا أصحابهم، فأنزل الله هذه الآية[١].

المسألة الثانية: المراد بالتعاون وبالبر:

التعاون: التظاهر[٢]، وبذل كلٍّ ما يستطيع لخدمة الآخرين لتيسير العمل، وتوفير المصالح، وإظهار الاتّحاد والتناصر، يقول ابن خويز منداد في أحكامه: «والتعاون على البر والتقوى يكون بوجوه: فواجب على العالم أن يعين الناس بعلمه فيعلمهم، ويعينهم الغني بماله، والشجاع بشجاعته في سبيل الله، وأن يكون المسلمون متظاهرين كاليد الواحدة»[٣].

البِر: أصله من الاتساع، ومنه البَر الذي هو خلاف البحر لاتساعه[٤]، وقد تعددت عبارات المفسرين في تفسير كلمة (البر) هنا بين من يطلق ومن يقيد:

- فالذين أطلقوا قالوا: البر اسم جامع للعمل بما أمر الله بالعمل به[٥]، قال

---

(١) تفسير ابن كثير: (٢/ ١٢).

(٢) المفردات في غريب القرآن: (ص٣٥٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن: (٦/ ٤٧).

(٤) التفسير الكبير للرازي: (٥/ ٣٢).

(٥) تفسير الطبري: (٩/ ٤٩٠)، والتسهيل لعلوم التنزيل: (١/ ١٦٧)، والتفسير الكبير للرازي: (٥/ ٣٢)، والدر المنثور: (٣/ ٨).



ابن عباس: البر ما ائتمرت به[١]، وقيل: البر فعل الخيرات[٢]، وقيل: هو ما تطمئن إليه القلوب وتسكن من كل خير[٣]، ويدل لكون البر اسما جامعا لجميع الطاعات وأعمال الخير الظاهرة والباطنة المقربة من الله تعالى من حقوق الله وحقوق الآدميين[٤]: مجيئه في مقابلة الفجور في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣ – ١٤]، وقول النبي ﷺ: «... **وإن البر يهدي إلى الجنة... وإن الفجور يهدي إلى النار...**)[٥]، ومن أعم ما قيل في البر: إن البر هو الإسلام[٦].

- وقد قيد بعض المفسرين مدلول البر فقالوا: المراد بالبِر هنا العفو والإغضاء[٧]، ومما يدل على أن البر قد يقصد به بعض أفراده قول النبي ﷺ: «البر حسن الخلق»[٨].

ويبدو مما تقدم أن أكثر أهل التفسير على الإطلاق في مفهوم البر، وعليه

---

(١) تفسير البحر المحيط: (٣/ ٣٤٠).

(٢) تفسير ابن كثير: (٢/ ١٠)، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم: (٤/ ٣٢)، وتفسير المراغي: (١/ ١٢٠٤).

(٣) التفسير الواضح: (٦/ ٢٤)، وانظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: (٢/ ٣٨٩).

(٤) تفسير السعدي: (٢١٨).

(٥) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى" يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله" (ص١١٧٧)، (ح٦٠٩٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، (ص١٠٤٨)، (ح٢٦٠٧).

(٦) تفسير السمعاني: (٢/ ٨)، واللباب في علوم الكتاب: (١/ ١٦٩٤).

(٧) تفسير البحر المحيط: (٣/ ٣٤٠)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: (٢/ ٥٤٤).

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة، باب تفسير البر والإثم، (ص١٠٣٢)، (ح٢٥٥٣).



تكون الآية لم تنهَ فقط عن الاعتداء ولو في حق من سبق منهم الاعتداء، وتُبيِّن أن الباطل لا يجوز أن يعتدى به، وأن ليس للناس أن يعين بعضهم بعضًا على العدوان حتى إذا تعدى واحد منهم على الآخر تعدى ذلك الآخر عليه[١]، بل بينت أن الواجب أن يعين بعضهم بعضًا بدلا من ذلك على ما فيه البر والتقوى؛ فالتعاون على البر يكسب محبته؛ ولذا أمر تعالى بإعانة كل ساعٍ إليه ولو كان عدوًّا[٢].

المسألة الثالثة: تنزيل الآية على الواقع:

إن ظاهر هذه الآية الكريمة يدل على إيجاب التعاون على كل ما من شأنه أن يجلب مصلحة لعباد الله، أو يدفع عنهم مضرة[٣]، يقول القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو أمر لجميع الخلق بالتعاون على البر والتقوى، أي: ليعن بعضكم بعضًا، وتحاثوا على ما أمر الله تعالى واعملوا به»[٤].

وقد جمع الله في هذه الآية بين الأمر بالتقوى التي فيها رضا الله، والبر الذي فيه رضا الناس؛ لأن «من جمع بين رضا الله تعالى ورضا الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته»[٥].

والتعاون على تحصيل البر والتقوى يورث محبة تحصيلها؛ ولذا فلا جرم أن يعين الراغبُ في تحصيلها كلَّ ساع إليها ولو كان عدوًّا.

---

(١) التفسير الكبير للرازي: (١١/ ١٠٣).
(٢) التحرير والتنوير: (٦/ ٨٧).
(٣) أحكام القرآن للجصاص: (٣/ ٢٩٦).
(٤) الجامع لأحكام القرآن: (٦/ ٤٦).
(٥) الجامع لأحكام القرآن: (٦/ ٤٧).

وإن ما تعانيه البشرية اليوم من مآسٍ وكوارث روحية ومادية مدعاة للعمل بهذه الآية الكريمة، وحملها على ما دلت عليه من العموم؛ فإن سبب نزول الآية يرشد إلى أن التعاون المطلوب يكون حتى مع غير المسلمين؛ فقد جاء النهي عن التعرّض للحجيج بسوء وإن كانوا مشركين؛ لأنهم على حال قصدوا فيها الحج، وتلبّسوا عندها بالإحرام، وهي حالة خَيْر وقرب من الإيمان بالله وتذكّر نعمه، فيجب أن يعانوا على الاستكثار منها؛ لأن الخير يتسرّب إلى النفس رويدًا، كما أن الشر يتسرّب إليها كذلك ؛ ولذا قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ فأمرت الآية بالتعاون لتعظيم حرمة شعائر الله حتى مع من اعتدى على أموال المسلمين، ومنعت من دفع السيئة بالسيئة، وحثت على استبدال هذه النزعة البشرية بالدفع بالتي هي أحسن، حين منعت المسلمين من مقابلة صد المشركين لهم عام الحديبية عن المسجد الحرام بمنعهم هم قاصدي المسجد الحرام من المشركين.

فالتعاون ركن من أركان نظام الكون والعمران البشري، والأمر به من أركان الهداية الاجتماعية في القرآن، فهو يعني أن يعين الناس بعضهم بعضًا، أفرادًا وجماعات، في دينهم ودنياهم[١].

وما من ريب في أن الإنسانية إن تعاونت وتضافرت جهودها استطاعت التخفيف من وطأة ما تعانيه من الكوارث، ودفعت بالبشرية نحو مستوى من السعادة لن تستطيع تحقيقه من غير هذا التعاون، فضلا أن تحققه في ظل الصراع والتناحر.

ولهذا فإن ما تقدمه الدول الإسلامية من قيم حضارية وإنسانية عبر مؤتمرات الحوار التي تقيمها في الدول غير الإسلامية، وما تقدمه هذه الدول لبعض

(١) تفسير المراغي: (١/ ١٢٠٥).

متضرري الكوارث من غير المسلمين يجد سنده الشرعي في هذه الآية الكريمة، ويجسد تطبيقًا عمليًّا للتعاون المأمور به فيها، فهؤلاء وإن كانوا كفارًا فإنهم يُعاونُون على ما هو برّ: لأنّ البرّ يَهدي للتقوى، ولعلّ تكرّر فعله يقرّبهم من الإسلام[1].

---

(١) التحرير والتنوير: (٦/ ٨٧).

المطلب الثالث: البر بالمسالمين من أتباع الأديان والثقافات

المسألة الأولى: سبب نزول ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[الممتحنة:٨]:

يذكر المفسرون أمورًا عديدة يرونها أسبابا لنزول هذه الآية:

- أشهرها عندهم أنها نزلت في أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لما قدمت عليها أمها قتيلة بنت عبد العزى وهي مشركة بهدايا، فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول، فنزلت الآية، فأمرها رسول الله ﷺ أن تدخلها منزلها، وتقبل منها، وتكفيها وتحسن إليها[١].

- وقيل: إن الآية نزلت في قوم بمكة آمنوا ولم يهاجروا، فكانوا في رتبة سوء لتركهم فرض الهجرة[٢].

- ثم قيل: نزلت في خزاعة وبني الحارث بن كعب وكنانة ومزينة وقبائل من العرب، كانوا صالحوا الرسول ﷺ على ألا يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحدًا[٣].

- وقيل: فيمن لم يقاتل ولا أخرج ولا أظهر سوءًا من كفار قريش[٤].

- وقيل: نزلت في قوم من بني هاشم، منهم العباس[٥].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم: (١٠/ ٣٣٤٩)، وزاد المسير: (٨/ ٢٣٦)، والجامع لأحكام القرآن: (١٠/ ٢٤٠)، والدر المنثور: (٨/ ١٣١)، والإتقان في علوم القرآن: (٢/ ٤٠١).

(٢) تفسير الطبري: (٢٣ / ٣٢٢)، وتفسير البحر المحيط: (٨/ ١٩٣).

(٣) زاد المسير: (٨/ ٢٣٧)، وتفسير البحر المحيط: (٨/ ١٩٣).

(٤) تفسير البحر المحيط: (٨/ ١٩٣).

(٥) زاد المسير: (٨/ ٢٣٧).

- وقيل: في النساء والصبيان من الكفرة[١].

- وقيل: هي عامة في جميع الكفار[٢].

- وقيل: في المستضعفين من المؤمنين الذين لم يستطيعوا الهجرة[٣].

ويرى بعض المحققين أن هذه الأقوال هي في الحقيقة بيان للذين شملتهم الآية، وليست أسبابًا لنزولها[٤].

المسألة الثانية: تفسير مفردات الآية:

- قوله تعالى: ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾: مصدر مؤول من البِر، وهو بدل من ﴿الَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ﴾، والمعنى: لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء؛ أي: حسن معاملتهم وإكرامهم[٥].

- وقوله تعالى: ﴿وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾: قال مقاتل: أن توفوا لهم بعهدهم وتعدلوا[٦].

- وقوله تعالى: ﴿الْمُقْسِطِينَ﴾ يعني: المنصفين الذين ينصفون الناس ويعطونهم الحقّ والعدل من أنفسهم[٧].

---

(١) زاد المسير: (٨/ ٢٣٧)، وتفسير البحر المحيط: (٨/ ١٩٣).

(٢) زاد المسير: (٨/ ٢٣٧).

(٣) تفسير البحر المحيط: (٨/ ١٩٣).

(٤) التحرير والتنوير: (٢٨ / ١٥٢).

(٥) تفسير الطبري: (٢٣/ ٣٢٣)، والتفسير الكبير للرازي: (٢٩/ ٢٦٣)، والتحرير والتنوير: (٢٨/ ١٥٣).

(٦) التفسير الكبير للرازي: (٢٩ / ٢٦٣).

(٧) تفسير الطبري: (٢٣/ ٣٢٣).

المسألة الثالثة: أقوال المفسرين في الآية:

يقول ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين، من جميع أصناف الملل والأديان، أن تبرُّوهم وتصلوهم، وتقسطوا إليهم، إن الله عَزَّوَجَلَّ عمّ بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ جميع من كان ذلك صفته، فلم يخصصْ به بعضًا دون بعض»[1].

فالآية رخصة من الله تعالى للمسلمين في مبرة المشركين الذين لم يقاتلوهم في الدين ولم يُخرجوهم من ديارهم، وهي إذًا مبينة للنهي الوارد في مطلع السورة عن اتخاذ المشركين أولياء، فأخرجت هذه الآية صلة من لم يقاتل ولم يُخرج من ذلك النهي، سواء أكانت الصلة بالمال أو بالبر والإقساط ولين الكلام والمراسلة[2].

ومع أن هناك من المفسرين من يرى الآية منسوخة[3]، إلا أن أكثر أهل التأويل على أنها محكمة[4]؛ قال ابن جرير بعد ما عرض الأقوال في الآية: «ولا معنى لقول من قال: ذلك منسوخ؛ لأن برّ المؤمن من أهل الحرب ممن بينه وبينه قرابة نسب أو ممن لا قرابة بينه وبينه ولا نسب، غير محرّم ولا منهيّ عنه إذا لم يكن في ذلك دلالة له أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام، أو تقوية لهم بكُراع أو سلاح»[5]، بل إن الأدلة شاهدة ليس فقط لعدم النهي والتحريم لصلة هؤلاء، بل

---

(١) تفسير الطبري: (٢٣/ ٣٢٣).

(٢) أحكام القرآن للشافعي: (٢/ ١٩٣)، والتسهيل لعلوم التنزيل: (٤/ ١١٤)، والتفسير الكبير للرازي: (٢٩/ ٢٦٣).

(٣) كقتادة فقد ورد عنه في: تفسير الطبري: (٢٣/ ٣٢٣)، وتفسير الصنعاني: (٣/ ٢٨٧)، والدر المنثور: (٨/ ١٣١)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي: (ص٤٨٥)، وقلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن: (ص٢٠٦).

(٤) الجامع لأحكام القرآن: (١٨/ ٥٩).

(٥) تفسير الطبري: (٢٣/ ٣٢٣).



لطلب صلتهم؛ فقوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ﴾ وإن كان في ظاهره لنفي الحرج فلا يبعد أن يدل على الأمر كما جاء في قوله تعالى ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨]، ويدل لذلك قول النبي ﷺ لأسماء بنت أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا وقد سألته أتصل أمها لما قدمت عليها وهي راغبة؟ فقال لها: «نعم صلي أمك»[١]، فهذا أمر منه ﷺ وأدنى درجات الأمر أن يفيد الندب[٢].

المسألة الرابعة: تنزيل الآية على الواقع:

لا أحد اليوم يدعي أن أمة من الأمم بوسعها أن تعيش منعزلة عن المجموعة الدولية وتقوم بمفردها بجميع مصالحها واحتياجاتها، بل إن جميع الدول من مسلمين وأهل كتاب ومشركين وملحدين تتشابك مصالحهم، وتتحكم هذه المصالح في علاقات تلك الدول الخارجية؛ فعليها تسالم وتعادي.

فالتعاون -لا سيما الاقتصادي- بات من ضروريات شعوب العالم اليوم، وهذه الآية الكريمة تصلح أساسا لكل تعاون يقوم مع الشعوب المسالمة على أساس مبادلتها مصلحة بمصلحة بشرط عدم الموالاة أو المداهنة[٣][٤]؛ فالدعوة

---

(١) – أخرجه البخاري في الجامع الصحيح: كتاب الهبة، باب الهدية للمشركين، (ص٤٩٥)، (ح٢٦٢٠)، ومسلم في صحيحه: كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين...، (ص٣٨٨)، (ح١٠٠٣).

(٢) – ينظر: الإحكام لابن حزم: (١/ ٢٧٥)، والعدة في أصول الفقه: (١/ ٢٢٤)، والمحصول: (ج١/ ق٢/ ٦٦)، والإحكام للآمدي: (٢/ ٢١٠)، والتمهيد في أصول الفقه: (١/ ١٤٥).

(٣) تكملة أضواء البيان: (٨/ ٩٥).

(٤) المداهنة: إظهار الرضا بفعل الفاسق من غير إنكار عليه، وقيل: ترك الدين بالدنيا، أو هي: أن ترى منكرا تقدر على دفعه فلم تدفعه حفظا لجانب مرتكبه أو لقلة مبالاة بالدين. ينظر: التعريفات: (٢٦٥)، والتوقيف على مهمات التعاريف: (١/ ٦٤٥)، وقد بين القرافي رَحِمَهُٱللَّهُ في الفرق التاسع عشر بعد المائة مسائل الفرق بين البرّ والمودة. الفروق: (٣/ ٢٩).

للتعاون في الآية جاءت عامة مطلقة لتشمل تعاون المسلمين فيما بينهم، وتعاونهم مع غيرهم بصرف النظر عن جنسه ولونه وعقيدته وثقافته وفكره، فهناك مشترك إنساني تدعو للتعاون عليه الفطرة السلمية، وتأمر به الرسالات السماوية والمذاهب(١).

ثم إن ما قد يترتب على هذا التعاون من التزامات مالية لغير المسلمين كالمساعدات الاقتصادية أو الإنسانية يجد سنده أيضا في هذه الآية من حيث إنه داخل في عموم البر المأذون به في هذه الآية، خصوصًا أن بعض علماء الأمة كالعز بن عبد السلام وابن العربي رَحِمَهُمَاٱللَّهُ يرى أن المراد من قول الله تعالى في هذه الآية: ﴿وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ﴾ أي: تعطوهم قسطًا من أموالكم على وجه الصلة، وأن العدل ليس هو المراد بالقسط هنا؛ إذ العدل واجب فيمن قاتل وفيمن لم يقاتل، إلا أن يراد بالعدل التوسط بين الغلو في مقاربة هؤلاء والإسراف في مباعدتهم(٢).

وقد عرفت الأمة تطبيقًا عمليًّا للبر بغير المسلمين قديمًا وحديثًا، نذكر منه قديما -على سبيل المثال- ما حكاه الدارقطني أنَّ عبدَ وزيرِ المعتضد -وكان نصرانيًّا- دخل على القاضي إسماعيل فقام له ورحّب به، فرأى إنكار مَن عنده، فقال: علمت إنكاركم، وقد قال تعالى: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ﴾ الآية، وهذا رجل يقضي حوائج المسلمين»(٣).



(١) الحوار في الإسلام، للدكتور حسين حماد حسان: (ص٦٢).
(٢) تفسير العز بن عبد السلام: (١/ ١٢٠٩)، وأحكام القرآن لابن العربي: (٤/ ١٧٨٥).
(٣) البحر المديد: (٨/ ٢٤).



المبحث الثاني: أصول الحوار مع أهل الكتاب في القرآن الكريم

المطلب الأول: الدعوة للإنصاف والعدل

المسألة الأولى: سبب نزول قول الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [آل عمران: ٦٤]:

نزلت الآية في وفد نجران، كما قال الحسن والسدي ومحمد بن جعفر بن الزبير، قال ابن زيد: لما أبى أهل نجران ما دعوا إليه من الملاعنة، دعوا إلى أيسر من ذلك، وهي الكلمة السواء، وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نزلت في القسيسين والرهبان، بعث بها النبي ﷺ إلى جعفر وأصحابه بالحبشة، فقرأها جعفر والنجاشي جالس وأشراف الحبشة.

وقال قتادة والربيع وابن جريج: نزلت في يهود المدينة، وهم الذين حاجوا في إبراهيم.

وقيل: نزلت في اليهود والنصارى فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن أبا رافع اليهودي والسيدَ من نصارى نجران قالا يا محمد: أتريد أن نعبدك، فقال رسول الله ﷺ: «معاذ الله أن يُعبد غير الله»، فنزلت هذه الآية [١].

المسألة الثانية: أقوال المفسرين في الآية:

تُقدم هذه الآية الكريمة عرضًا للدلائل التي عرضها النبي ﷺ على وفد نصارى نجران، فإنه ﷺ لما قطعهم بالدلائل الواضحة فلم يذعنوا، ودعاهم إلى

---

(١) تفسير البغوي: (٢/ ٤٩)، وتفسير البحر المحيط: (٢/ ٤٨١).



المباهلة فامتنعوا، عدل إلى نوع من التلطف معهم، فكأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال لرسوله ﷺ: يا محمد، اترك ذلك المنهج من الكلام، واعدل عنه إلى منهج آخر يشهد كل عقل سليم وطبع مستقيم أنه كلام مبني على الإنصاف وترك الجدال(١)، و﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾، فقوله سبحانه ﴿تَعَالَوْاْ﴾ مستعملة هنا في طلب الاجتماع على كلمة سواء وهو تمثيل؛ جعلت الكلمة المجتمع عليها بشبه المكان المراد الاجتماع عنده في طلب الاجتماع على كلمة سواء(٢)، والمعنى: هلموا إلى كلمة فيها إنصاف من بعضنا لبعض، ولا ميل فيه لأحد على صاحبه(٣).

وقد اختلف المفسرون في المراد بأهل الكتاب في الآية الكريمة على ثلاثة أقوال:

- فقيل: المراد نصارى نجران.

- وقيل: المراد يهود المدينة؛ خوطبوا بذلك لأنهم جعلوا أحبارهم في الطاعة لهم كالأرباب.

- والثالث: أنها نزلت في الفريقين(٤).

ورجح الأخيرَ بعض المفسرين لأمرين: أولهما: أن ظاهر اللفظ يتناولهما، والثاني: ما روي في سبب النزول من أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: ما تريد إلا أن نتخذك ربًّا كما اتخذت النصارى عيسى، وقالت النصارى: يا محمد ما تريد إلا أن

---

(١) التفسير الكبير للرازي: (٨/ ٧٦).

(٢) التحرير والتنوير: (٣/ ٢٦٨).

(٣) التفسير الكبير للرازي: (٨/ ٧٦)، وتفسير البحر المحيط: (٢/ ٤٨٢).

(٤) الجامع لأحكام القرآن: (٤/ ١٠٥)، والتفسير الكبير للرازي: (٨/ ٧٦).



نقول فيك ما قالت اليهود في عزير، فأنزل الله تعالى هذه الآية[١].

والسياق يشهد للأول؛ فإن الآيات كانت تقيم الدلائل على النصارى، وهم الذين دعُوا للمباهلة، ثم عدلت الآية إلى الكلام المبني على رعاية الإنصاف، وترك المجادلة، وطلب الإفحام والإلزام[٢]، وجاء في كتاب النبي ﷺ إلى هرقل «**بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، و﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ إلى قوله: ﴿فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا﴾[٣]**»[٤].

والعرب تعبر بالكلمة عن الكلمات، فتسمي كل قصة لها شرح كلمة، ومنه سميت القصيدة كلمة، وأطلقت الكلمة هنا على الكلام الوجيز كما في قوله تعالى: ﴿كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، إما لكون الكلمات مرتبطة بعضها ببعض، فصارت في قوة الكلمة الواحدة إذا اختلَّ جزء منها اختلت الكلمة؛ لأن كلمة التوحيد: لا إله إلا الله، هي كلمات لا تتم النسبة المقصودة فيها من حصر الإلهية في الله إلا بمجموعها، وقوله سبحانه ﴿سَوَآءِۭ﴾ اسم مصدر الاستواء، أي: عدلٍ بيننا وبينكم، أو قصدٍ لا شطط فيها[٥]، فالكلمة السواء التي دعا إليها

(١) التفسير الكبير للرازي: (٨/ ٧٦).

(٢) التفسير الكبير للرازي: (٨/ ٧٦).

(٣) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، في مواضع عديدة منها: كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل، (ص٧٣٦)، (ح١٧٧٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل: (ص٧٣٦)، (ح١٧٧٣).

(٤) الجامع لأحكام القرآن: (٤/ ١٠٥-١٠٦).

(٥) تفسير البحر المحيط: (٢/ ٤٨٢-٤٨٣ بتصرف)، والتحرير والتنوير: (٣/ ٢٦٩).

رسول الله ﷺ -كما قال قتادة- هي العدل والنصفة، وهي كلمة لا تختلف فيها الرسل والكتب، بل هي دعوة جميع الرسل، وقد فسرها سبحانه بقوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾؛ لا وثنًا ولا صليبًا ولا صنمًا ولا طاغوتًا ولا نارًا ولا شيئًا، بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له[1]، وعلى هذا فالكلمة السواء إذًا هي كلمة الإخلاص "لا إله إلا الله" كما قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2].

المسألة الثالثة: تنزيل الآية على الواقع:

هذه الآية الكريمة دعوة للحوار مع أهل الكتاب في كل زمان ومكان؛ ذلك أن كل من استجاب لمبدأ الحوار لن يكون أشد عنادًا من الذين تدعوهم هذه الآية الكريمة للحوار فإنهم عاندوا وكابروا، وعرض عليهم النبي ﷺ المباهلة فأبوا، فلم يمنعه ﷺ كل ذلك من استمرار الحوار معهم، بل إن الآية تقدم دروسا في الحوار -حتى مع أمثال هؤلاء- يحتاج المحاورون في عالمنا المعاصر إليها كثيرًا.

ومن تلك الآداب الاحترام والتلطف الكبيران بالطرف الآخر مهما كانت درجة الاختلاف معه؛ فإن النبي ﷺ خاطب وفد نصارى نجران قائلا: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ترغيبا لهم فيما يلقى إليهم، وتنبيهًا على أن من كان من أهل كتاب الله ينبغي أن يتبع كتاب الله[3]، وهذا الاسم الذي ناداهم ﷺ به «من أحسن الأسماء وأكمل الألقاب، حيث جعلهم أهلًا لكتاب الله، ونظيره ما يقال لحافظ القرآن: يا حامل كتاب الله، وللمفسر: يا مفسر كلام الله، فإن هذا اللقب يدل على أن قائله

---

(١) تفسير الطبري: (٦/ ٤٨٣)، والجامع لأحكام القرآن: (٤/ ١٠٦)، وتفسير ابن كثير: (١/ ٤٥٦)، وتفسير البيضاوي: (٢/ ٢١).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: (١/ ١٧٤)، والدر المنثور: (٢/ ٢٣٥).

(٣) تفسير البحر المحيط: (٢/ ٤٨٢).



أراد المبالغة في تعظيم المخاطب وفي تطييب قلبه، وذلك إنما يقال عند عدول الإنسان مع خصمه عن طريقة اللجاج والنزاع إلى طريقة طلب الإنصاف»[١].

فالمقصود من الحوار ينبغي أن يكون حصول الاهتداء لا إظهار العظمة، وغلظة القول بدون جدوى، ولا إظهار انقطاع المحاوَر بقدر ما هو السعي لإيصال الحق والعدل إليه بطريقة لا تجد نفسه ممانعة في قبوله؛ ولذا نجده ﷺ مع أنه منزه عن الشرك بالله يدخل نفسه في الخطاب بالدعوة إلى نبذ الشرك؛ مراعاة لشعور الطرف الآخر، وليسهل عليه قبول دعوته، فيقول:: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ مع أن المتخذين أربابا إنما هم المحاوَرون.

ليس هذا فحسب، بل إن الآية جعلت قصارى ما يمكن أن يختم به الحوار ولو أبدى الطرف الآخر تمنعا إنما هو الاستمرار في الحوار؛ ولذا قال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ والإشهاد يفيد استمرار الحوار من ناحية، والثبات على المبدأ سواء أقر به الطرف الآخر أم رده من ناحية ثانية، وأنه ليس على الداعي إلا بيان الحق فحسب وليس عليه حمل الآخر على قبوله من ناحية ثالثة.

والحوارات التي عرفها العالم في العقود الأخيرة -والتي سيأتي تفصيل لها في الفصل الثالث - افتقرت في معظمها لمثل هذا الخلق والأدب الرفيع.

---

(١) التفسير الكبير للرازي: (٨/ ٧٦).

المطلب الثاني: الأمر بمجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن

المسألة الأولى: تفسير ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ [العنكبوت: ٤٦]:

- يقول سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ﴾ أي: لا تخاصموا أهل الكتاب، ولا تجادلوهم بالسيف، وإن لم يؤمنوا إلا إذا ظلموا وحاربوا[١].

- ﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ من الملاطفة في الدعاء إلى الله، والتنبيه على آياته وحججه، وإيضاح الحق بالرفق واللين، ومعارضة الخشونة باللين، والغضب بالكظم، والمشاغبة بالنصح، رجاء إجابتهم إلى الإيمان[٢]، وقيل: لا تجادلوا من آمن بمحمد ﷺ من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام ومن آمن معه.

﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ أي: بالموافقة فيما حدثوكم به من أخبار أوائلهم وغير ذلك[٣].

- ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ اختلف في المراد منهم:

فقيل: المراد من ظلموا ظلما زائدًا على كفرهم بأن لم يؤد جزية، ونصب الحرب، وصرح بأن لله ولدًا أو شريكًا، أو يده مغلولة، فجادلهم بالسيف حتى يؤمنوا، أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون[٤]، أخرج ابن جرير عن مجاهد في

---

(١) تفسير البغوي: (٦/ ٢٤٧)، والتفسير الكبير للرازي: (٢٥/ ٦٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن: (١٣/ ٣٥٠)، وتفسير البحر المحيط: (٧/ ١٣٨)، وتفسير البيضاوي: (٤/ ٣١٨)، وفتح القدير للشوكاني: (٤/ ٢٠٥)، وأضواء البيان: (٢/ ٤٦٥).

(٣) تفسير الطبري: (٢٠/ ٤٧)، والجامع لأحكام القرآن: (١٣/ ٣٥٠)، وتفسير البحر المحيط: (٧/ ١٣٨).

(٤) التفسير الكبير للرازي: (٢٥/ ٦٦)، وتفسير البحر المحيط: (٧/ ١٣٨)، وأضواء البيان: (٢/ ٤٦٥).



قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ قال: الذين قالوا: مع الله إله، أو له ولد، أو له شريك، أو يد الله مغلولة، أو الله فقير ونحن أغنياء، أو آذى محمدًا ﷺ وهم أهل الكتاب(١).

قال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذكر هذا القول في تفسير ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾: «وفيه معنى ألطف منه، وهو أن المشرك جاء بالمنكر... فكان اللائق أن يجادل بالأخشن ويبالغ في تهجين مذهبه وتوهين شبهه؛ ولهذا قال تعالى في حقهم: ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ﴾ [البقرة: ١٨]، وقال ﴿لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ﴾ [الأعراف: ١٧٩] إلى غير ذلك، وأما أهل الكتاب فجاؤوا بكل حسن إلا الاعتراف بالنبي عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ فوحدوا وآمنوا بإنزال الكتب وإرسال الرسل والحشر، فلمقابلة إحسانهم يجادلون أولا بالأحسن ولا تستخف آراؤهم ولا ينسب للضلال آباؤهم، بخلاف المشرك»(٢).

وقيل: المراد بالذين ظلموا من أقام منهم على كفره، كمن كفر وغدر من قريظة والنضير وغيرهم، والآية على هذا تكون محكمة كما هو رأي مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣).

وقيل: المراد بهم من ظلموا في جدالهم بأن خلطوا بين الحق والباطل(٤).

وذهب قتادة ومقاتل إلى أن الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ

---

(١) تفسير الطبري: (٢٠/ ٤٧)، والدر المنثور: (٦/ ٤٦٨).
(٢) التفسير الكبير للرازي: (٢٥/ ٦٦-٦٧).
(٣) تفسير الطبري: (٢٠/ ٤٧)، والجامع لأحكام القرآن: (١٣/ ٣٥٠).
(٤) أحكام القرآن لابن العربي: (٣/ ١٤٨٨).



مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، وأنه لم يبق معهم مجادلة، وإنما هو الإسلام أو الجزية أو السيف[١].

واختار بعض المفسرين كابن العربي والقرطبي رأي مجاهد في أن الآية باقية محكمة لمن أراد الاستبصار منهم في الدين، فيجادل بالتي هي أحسن ليكون أنجع فيه، فأحكام الله عَزَّوَجَلَّ لا يقال فيها إنها منسوخة إلا بخبر قاطع أو حجة من معقول، ولا خبر بذلك يقطع العذر، ولا دلالة على صحته من فطرة عقل[٢].

قال الإمام الطبري بعد عرض الأقوال في تفسير الآية: «وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: عني بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ إلا الذين امتنعوا من أداء الجزية، ونصبوا دونها الحرب، فإن قال قائل: أو غير ظالم من أهل الكتاب إلا من لم يؤدّ الجزية؟ قيل: إن جميعهم، وإن كانوا لأنفسهم بكفرهم بالله، وتكذيبهم رسوله محمدًا ﷺ، ظلمة، فإنه لم يعن بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ ظلم أنفسهم، وإنما عنى به: إلا الذين ظلموا منهم أهل الإيمان بالله ورسوله محمد ﷺ، فإن أولئك جادلوهم بالقتال.

وإنما قلنا: ذلك أولى الأقوال فيه بالصواب؛ لأن الله تعالى ذكره أذن للمؤمنين بجدال ظلمة أهل الكتاب، بغير الذي هو أحسن بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ فمعلوم إذ كان قد أذن لهم في جدالهم، أن الذين لم يؤذن لهم في جدالهم إلا بالتي هي أحسن، غير الذين أذن لهم بذلك فيهم، وأنهم غير المؤمن؛ لأن المؤمن منهم غير جائز جداله إلا في غير الحقّ، لأنه إذا جاء بغير الحق فقد صار في معنى الظلمة

---

(١) تفسير الطبري: (٢٠/ ٤٧)، وتفسير ابن كثير: (٣/ ٥٠٤)، وفتح القدير للشوكاني: (٤/ ٢٠٥).
(٢) ينظر: تفسير الطبري: (٢٠/ ٤٨)، والجامع لأحكام القرآن: (١٣/ ٣٥٠)، وتفسير ابن كثير: (٣/ ٥٠٤).

في الذي خالف فيه الحقّ، فإذ كان ذلك كذلك تبين ألا معنى لقول من قال: عنى بقوله: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [العنكبوت:٤٦] أهل الإيمان منهم، وكذلك لا معنى لقول من قال: نزلت هذه الآية قبل الأمر بالقتال، وزعم أنها منسوخة؛ لأنه لا خبر بذلك يقطع العذر، ولا دلالة على صحته من فطرة عقل... ولا يجوز أن يحكم على حكم الله في كتابه بأنه منسوخ إلا بحجة يجب التسليم لها، من خبر أو عقل»(١).

المسألة الثانية: البيان العملي من النبي ﷺ للآية:

يقول سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ [النحل: ٤٤]، والبيان من النبي ﷺ يكون بالقول تارة، وتارة بالفعل، وبالإقرار أخرى، ولا شك أن البيان بالفعل من أقوى أنواع البيان، وأبعدها عن الاختلاف فيها، وقد بين ﷺ هذه الآية أحسن بيان من خلال امتثاله ﷺ لما جاء فيها؛ لتأخذ الأمة حكم الفعل وآدابه منه ﷺ، وبيان ذلك من خلال الفقرتين الآتيتين:

الفقرة الأولى: محاورة النبي ﷺ لليهود بداية العهد المدني:

لقد عقد النبي ﷺ حوارات مختلفة مع اليهود بالمدينة المنورة؛ منها ما يتعلق بتنظيم العيش المشترك، ومنها ما كان يتعلق بالدعوة إلى الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وفيما يلي ذكر نموذجين من حوارات النبي ﷺ تبرز بجلاء كيف أنه ﷺ كان يعتمد المجادلة بالتي هي أحسن معهم.

---

(١) تفسير الطبري: (٢٠/ ٤٨).



النموذج الأول: المعاهدة مع يهود بني عوف:

من أوائل الخطوات التي قام بها النبي ﷺ لإرساء دعائم الدولة الإسلامية في المدنية المنورة: إقامته حوارًا هامًّا مع ساكني المدينة من اليهود، تمخض عن عقد معاهدة بين الطرفين على التعاون والتضامن على حماية المصالح المشتركة لمجتمع المدينة والدفاع عنها.

يقول ابن إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكتب رسول الله ﷺ كتابًا بين المهاجرين والأنصار وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم واشترط عليهم»[(١)].

وكان من بنود المعاهدة ما يأتي[(٢)]:

- وإن من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم.

- وإنه لا يجير مشرك -من أهل المدينة وما حولها- مالًا لقريش ولا نفسًا، ولا يحول دونه على مؤمن.

- وإنه من اعتبط[(٣)] مؤمنًا قتلًا عن بينة فإنه قود به، إلا أن يرضى ولي المقتول.

- وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر، أن ينصر محدثًا ولا يؤويه، وإنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: (٣/ ٣١)، والسيرة النبوية لابن كثير: (٢/ ٣٢٠)، والسيرة الحلبية: (٢/ ٢٩١).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: (٣/ ٣٤)، والسيرة النبوية لابن كثير: (٢/ ٣٢٣)، والمصباح المضيء: (٢/ ٨). أي قتله بلا جناية كانت منه ولا جريرة توجب قتله

(٣) اعتبط: أي قتله بلا جناية كانت منه ولا جريرة توجب قتله. انظر لسان العرب (٧/ ٣٤٨).



- وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وإلى محمد ﷺ.

- وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين؛ لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم أو أثم فإنه لا يوتغ[1] إلا نفسه وأهل بيته.

- وإن موالي ثعلبة كأنفسهم، وإن بطانة يهود كأنفسهم.

- وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم.

- وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة.

- وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم.

- وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم.

- وإن بينهم النصر على من دهم يثرب.

- وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه.

- وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإن لهم على المؤمنين، إلا من حارب في الدين.

- على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم.

- وإن يهود الأوس؛ مواليهم وأنفسهم، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة.

---

(١) وتِغَ الرجل يَوْتَغ وَتغا إذا هلك، وأوتغه غيره، والمراد أنه لا يُهلك إلا نفسه، ينظر: غريب الحديث لابن سلام: (٣/ ١٧٠)، والفائق في غريب الحديث والأثر: (٢/ ٢٦)، وفيض القدير: (١/ ٣٤٤).



- وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم.
- وإنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم أو أثم.
- وإن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله ﷺ.

تبرز بنود هذه المعاهدة بجلاء الثمرة الكبيرة للحوار الذي عقده النبي ﷺ مع اليهود، واستجابته لما طلبته اليهود من موادعة وأمان وحلف وجوار، وعلى احترام الإسلام حريتهم في العقيدة، وتأمينهم على أموالهم وأنفسهم ومواليهم وبطانتهم، إلا أن يأثموا ويظلموا، ويخونوا العهد؛ فيظاهروا عدوًّا على أهل المدينة من المهاجرين والأنصار.

«وهذه الوثيقة تنطق برغبة المسلمين في التعاون الخالص مع يهود المدينة لنشر السكينة في ربوعها، والضرب على أيدي العادين ومدبري الفتن أيًّا كان دينهم، وقد نصت - بوضوح - على أن حرية الدين مكفولة، فليس هناك أدنى تفكير في محاربة طائفة أو إكراه مستضعف، بل تكاتفت العبارات في هذه المعاهدة على نصرة المظلوم، وحماية الجار، ورعاية الحقوق الخاصة والعامة»[1].

النموذج الثاني: محاورة النبي ﷺ مع أحد أحبار اليهود:

أخرج مسلم في صحيحه عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مولى رسول ﷺ قال: كنت قائمًا عند رسول الله ﷺ فجاء حَبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد، فدفعته دفعة كاد يصرع منها، فقال لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله؟ فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله، فقال رسول ﷺ: «إن اسمي

(١) فقه السيرة: (١/ ١٦٤).



محمد الذي سماني به أهلي»، فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال له رسول الله ﷺ: «أينفعك شيء إن حدثتك»؟ قال أسمع بأذنيَّ، فنكت رسول الله ﷺ بعود معه، فقال: «سل».

فقال اليهودي أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال رسول الله ﷺ: «هم في الظُّلمة دون الجسر»، قال: فمن أول الناس إجازة؟ قال: «فقراء المهاجرين»، قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: «زيادة كبد النون»، قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: «ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها»، قال: فما شرابهم عليه؟ قال: «من عين فيها تسمى سلسبيلا».

قال: صدقت، قال وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان، قال: «ينفعك إن حدثتك»، قال: أسمع بأذنيَّ، قال: جئت أسأل عن الولد، قال: «ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا منيُّ الرجل منيَّ المرأة أذكرا بإذن الله، وإذا علا منيُّ المرأة منيَّ الرجل آنثا بإذن الله».

قال اليهودي لقد صدقت وإنك لنبي، ثم انصرف فذهب، فقال رسول الله ﷺ: «لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه وما لي علم بشيء منه حتى أتاني الله به»[1].

هذا الحوار يظهر بجلاء كيف كان النبي ﷺ يتمثل المجادلة بالتي هي أحسن مع أهل الكتاب؛ فمن ذلك تواضعه ﷺ مع اليهودي وقبوله له بأن يناديه باسمه مجردًا تنزلًا مع الخصم رجاء نفعه، ثم إنه رغم أن أسئلة الحبر كانت تعجيزية لم يظهر النبي ﷺ امتعاضًا منها، بل اكتفى بسؤال الحبر عن مدى انتفاعه من إجابتها.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الحيض، باب صفة مني الرجل، (ص١٤٥)، (ح٣١٥).

الفقرة الثانية: محاورة النبي ﷺ نصارى نجران في آخر حياته:

إن انتهاج النبي ﷺ للحوار لم يكن أمرًا مرحليًّا تقتضيه حالة المسلمين في العهد المكي وقبل تمكن الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، بل كان سمة أساسية لدعوة الإسلام، لا ارتباط لها بضعف المسلمين أو قوتهم؛ ولذا حاور النبي ﷺ غير المسلمين أفرادا وجماعات، ومن ذلكم محاورته ﷺ وفد نصارى نجران عام تسع للهجرة، فقد أنزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بضعا وثمانين آية من صدر سورة آل عمران تُتلى إلى يوم القيامة سطر فيها الحوار معهم.

يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]﴾ «وكان سبب نزول هذه المباهلة وما قبلها من أول السورة إلى هنا في وفد نجران، أن النصارى لما قدموا فجعلوا يحاجون في عيسى ويزعمون فيه ما يزعمون من البنوة والإلهية، فأنزل الله صدر هذه السورة ردًّا عليهم.

قال ابن إسحاق في سيرته المشهورة وغيره: قدم على رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران ستون راكبًا، فيهم أربعة عشر رجلًا من أشرافهم يؤول أمرهم إليهم... وأمر هؤلاء يؤول إلى ثلاثة منهم: وهم العاقب: وكان أمير القوم وذا رأيهم وصاحب مشورتهم، والذي لا يصدرون إلا عن رأيه، والسيد: وكان عالمهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم، وأبو حارثة بن علقمة وكان أسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم... وقد كان يعرف أمر رسول الله ﷺ وصفته وشأنه مما علمه من الكتب المتقدمة، ولكن حمله جهله على الاستمرار في النصرانية لما يرى من تعظيمه فيها وجاهه عند أهلها.

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد ابن جعفر بن الزبير، قال: قدموا على رسول الله ﷺ المدينة، فدخلوا عليه مسجده حين صلى العصر، عليهم ثياب الحبرات جبب وأردية في جمال رجال بني الحارث بن كعب، قال: يقول من رآهم من أصحاب النبي ﷺ: ما رأينا بعدهم وفدًا مثلهم. وقد حانت صلاتهم فقاموا في مسجد رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**دعوهم**» فصلوا إلى المشرق.

قال: فكلم رسولَ الله ﷺ منهم أبو حارثة بن علقمة، والعاقبُ عبد المسيح، والسيدُ الأيهم، وهم من النصرانية على دين الملك مع اختلاف أمرهم...، فلما كلمه الحبران، قال لهما رسول الله ﷺ: «**أسلما**»، قالا: قد أسلمنا، قال: «**إنكما لم تسلما، فأسلما**»، قالا: بلى قد أسلمنا قبلك، قال: «**كذبتما، يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولدًا وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير**»، قالا: فمن أبوه يا محمد ؟ فصمت رسول الله ﷺ عنهما فلم يجبهما، فأنزل الله في ذلك من قولهم واختلاف أمرهم صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها»[1].

إن هذا النقل يكشف بوضوح أخلاق النبي ﷺ في الحوار؛ فقد سمح لمحاوريه مع ما هم عليه من الضلال بالنزول في مسجده ﷺ، والصلاة فيه، والصلاة إلى قبلتهم، والاستماع منهم إلى ما يدعونه في نبي الله عيسى ابن مريم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.



(١) تفسير ابن كثير: (١/ ٤٥٢-٤٥٣).

المبحث الثالث: أصول الحوار مع المشركين في القرآن الكريم

المطلب الأول: التأسي بالرسول ﷺ في محاورته للمشركين

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١] في هذه الآية الكريمة يأمر الله سبحانه المؤمنين بالاقتداء بالنبي ﷺ، ولم تبين الآية ما يقتدى به ﷺ فيه، بل أطلقت، وذلك أن المسلمين مأمورون بالاقتداء به ﷺ في كل شيء، فيقتدى به ﷺ في أقواله وأفعاله وتقريراته؛ لأنه المشرع لهذه الأمة[١]، وقد أُمر ﷺ بدعوة المشركين ومجادلتهم في قول الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]، والأمة مخاطبة بمثل ذلك؛ للأمر بالتأسي به ﷺ[٢].

وقد أورد القرآن الكريم في مواضع كثيرة مجادلة النبي ﷺ للمشركين،وبيّن سبحانه ما كان عليه ﷺ من عظيم الخلق والحلم وسعة الصدر في محاورتهم:

فقد كان من جملة محاوراته لهم ما جاء في سورة (الكافرون) حين دعاه كفار قريش ليعبد آلهتهم مرة ويعبدوا إلهه مرة، ورغم خطورة هذه الدعوة كونها تدعو لأن يشرك ﷺ برب العالمين فقد بيّن لهم أوضح بيان أن لا سبيل لمثل ذلك، ولكن أما إذ أبيتم إلا الاستمرار على كفركم فلتبقوا على دينكم ولأستمر على ديني ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون: ٦]، وفي هذا القول أسوة للدعاة في كل زمان ومكان، فإنما عليهم تبيان الحق والثبات عليه، وليسوا مطالبين بإكراه الآخرين على القبول به.

---

(١) أضواء البيان: (٦/ ٢٥٦).

(٢) التفسير الكبير للرازي: (٢/ ٨٣).

ومن حواراته ﷺ التالية مع المشركين نستبين جوانب من أصول الحوار مع المشركين وموضوعاته.

المسألة الأولى: محاورة النبي ﷺ مشركي قريش قبل البعثة:

ولد النبي ﷺ بمكة المكرمة حيث تطبق الوثنية، ويزخر البيت العتيق بالأصنام، ولكل قبيلة أو بطن صنم يعبده، ومع أنه ﷺ لم يعبد في حياته من آلهة قريش شيئًا[١] إلا أنه مع ذلك كان يتحاور معهم ويتعاون لإرساء قيم العدل؛ فقد جاء عنه ﷺ بعدما أكرمه الله بالرسالة قوله: **«لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفًا ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت»**[٢]، فقد شهد ﷺ حلف الفضول، ذلك الحلف الذي تداعت إليه قبائل من قريش كبني هاشم وبني المطلب وأسد بن عبد العزى وزهرة ابن كلاب وتيم بن مرة، فاجتمعوا في دار عبد الله بن جُدْعان التيمي؛ لسنِّه وشرفه، فتعاقدوا وتعاهدوا على ألا يجدوا بمكة مظلومًا من أهلها وغيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته.

إن هذا الحلف بطبيعة الحال ما كان ليتم إلا من خلال الحوار والتشاور، وما إشادته ﷺ به بعد مبعثه ﷺ إلا إرشادًا لأمته إلى أن هناك قيمًا إنسانية مشتركة، تدعو إليها الفطر السليمة وتقبلها العقول المستنيرة، حتى وإن لم تسر وفق هدي من كتاب أو نبوة، فإقراره ﷺ لهذا الحلف بعد مبعثه ﷺ يكسب هذا الفعل **(التحاور على المشتركات الإنسانية)** شرعية تجعله في كل زمان ومكان يدخل في التأسي به ﷺ.

---

(١) ينظر الرحيق المختوم: (ص٦٨).

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الفيء، باب إعطاء الفيء على الديوان: (٦/ ٣٦٧)، (ح١٣٤٦١)، وابن كثير في سيرته: (١/ ٢٥٨)، وابن هشام في سيرته: (١/ ٢٦٦).

المسألة الثانية: محاورة النبي ﷺ عتبة بن ربيعة بعد البعثة:

قال ابن إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثني يزيد بن زياد «عن محمد بن كعب القرظي، قال: حُدِّثت أن عتبة بن ربيعة - وكان سيدًا - قال يومًا وهو جالس في نادي قريش، ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورًا لعله أن يقبل بعضها، فنعطيه أيها شاء ويكف عنا؟ -وذلك حين أسلم حمزة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون - فقالوا: بلى يا أبا الوليد فقم إليه فكلمه.

فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخي، إنك منا حيث علمت من البسطة في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورًا تنظر فيها، لعلك تقبل منها بعضها.

قال: فقال له رسول الله ﷺ: «**قل: يا أبا الوليد أسمع**»، قال: يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالًا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالًا، وإن كنت تريد به شرفًا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرًا دونك، وإن كنت تريد به ملكًا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيًا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الأطباء، وبذلنا فيها أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه...

حتى إذا فرغ عتبة، ورسول الله ﷺ يستمع منه، قال: «**أفرغت يا أبا الوليد**»؟ قال: نعم، قال: «**فاستمع مني**»، قال: أفعل، قال: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿حمٓ

﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴾ [فصلت: ١ - ٤] ثم مضى رسول الله ﷺ فيها وهو يقرؤها عليه، فلما سمع عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره، معتمدًا عليهما، يستمع منه، حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد، ثم قال: «**قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك**».

فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به! فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني سمعت قولًا والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالسحر، ولا بالشعر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها لي، خلوا بين الرجل وما هو فيه، فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصبه العرب كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به.قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه! قال: هذا رأيي فاصنعوا ما بدا لكم!(١).

إن تأمل هذا الحوار الرفيع يدفع للاعتقاد الجازم بأن الإسلام لا يقبل الحوار فقط بل يحض عليه مهما كان تطرف أطرافه، فإن نبينا ﷺ أتاه عتبة يعرض عليه ليس فقط أمورا إجرائية أو هدنة وإنما أتاه يدعوه للتخلي جملة وتفصيلا عن رسالة رب العالمين، وأخذ يعدد عليه المزايا التي تضعها قريش في مقابل ذلك.

ومع اليقين الراسخ لرسول ﷺ أنه مهما ذكر فلن يغير من الأمر شيئا لأنه لم يأت بما جاء به من تلقاء نفسه- مع ذلك ترك عتبة يعدد المزايا الواحدة تلو

---

(١) أخرج القصة ابن إسحاق في سيرته: (١/ ٢٤٣-٢٤٤)، وابن كثير في تفسيره: (٤/ ١١١)، والسيوطي في الدر المنثور: (٧/ ٣٠٩)، والقصة مرسلة كما أفاده قول كعب (حُدثت)



الأخرى وهو ﷺ مقبل عليه منصت لكلامه، حتى إذا فرغ لم يعنفه ولم يغلظ له، بل خاطبه بكنيته على عادة العرب حينما تحدث كبراءها، سائلا له على جهة التلطف والاحترام: «**أتسمع مني**»، ثم قرأ عليه آيات تتحدث عما جاء به ﷺ، وترك إليه الحكم في شأنها.

لقد بان إثر هذا الحوار الهادئ لعتبة الحق، وأدرك تمام الإدراك حقيقة ما جاء به النبي ﷺ، ولم يمنعه من اتباعه إلا عناده وصحبة السوء.

فقد أوصل النبي ﷺ رسالته لعتبة من خلال الحوار، وأبان له غاية الإبانة معالم الحق، وليس عليه بعد ذلك أسلم أو لا؛ فالله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ يقول له: ﴿إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ [الشورى: ٤٨].

المسألة الثالثة: المحاورة عند صلح الحديبية:

في أواخر عام ست من الهجرة أراد رسول الله ﷺ أن يعتمر فأعلن بين الناس نيته، فخرج معه زهاء ألف وأربعمائة من المسلمين، فلما كانوا بالحديبية قال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا يسألوني – يعني قريشا – خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها**»(١).

وعرف المسلمون في هذه العمرة حوارات عديدة مع قريش مباشرة وغير مباشرة:

فمن الحوارات غير المباشرة ما جاء من أن بديل بن ورقاء الخزاعي قدم على رسول الله ﷺ فقال: إني تركت كعب بن لؤي، نزلوا أعداد مياه الحديبية، معهم

---

(١) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح: كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، (ص٥٢٢)، (ح٢٥٣١).



العُوذ المطَافِيل، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت، فقال رسول الله ﷺ: «إنا لم نجئ لقتال أحد، ولكنا جئنا معتمرين، وإن قريشًا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم، فإن شاؤوا ماددتهم، ويخلوا بيني وبين الناس، فإن أظهر، فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جَمُّوا، وإن هم أبوا إلا القتال فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي[1]، أو لينفذن الله أمره».

قال بديل: سأبلغهم ما تقول، فانطلق حتى أتى قريشًا، فقال: إني قد جئتكم من عند هذا الرجل، وسمعته يقول قولًا، فإن شئتم عرضته عليكم. فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تحدثنا عنه بشيء، وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته، قال: سمعته يقول كذا وكذا.

وعلى إثر هذا الحوار غير المباشر رأت قريش الدخول في الحوار المباشر مع النبي ﷺ، فقال عروة بن مسعود الثقفي: إن هذا -يعني النبي ﷺ- قد عرض عليكم خطة رُشْد فاقبلوها، ودعوني آته، فأتاه، فجعل يكلمه، فقال له النبي ﷺ نحوًا من قوله لبديل، فقال له عروة عند ذلك: أي محمد، أرأيت لو استأصلتَ قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخري فوالله إني لا أرى وجوهًا، وإني أرى أوباشًا من الناس خليقًا أن يفروا ويدعوك، قال له أبو بكر: امصص بَظْر اللات! أنحن نفر عنه ؟! قال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر، قال: أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت عندي لم أَجْزِكَ بها لأجبتك، وجعل يكلم

(١) السالفة: صفحة العنق، وكنى بذلك عن القتل؛ لأن القتيل تنفرد مقدمة عنقه، وقال الداودي: المراد الموت، أي حتى أموت وأبقى منفردا في قبري، ويحتمل أن يكون أراد أنه يقاتل حتى ينفرد وحده في مقاتلتهم، ينظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطال: (٨/ ١٣٤)، وفتح الباري: (٥/ ٣٣٨).



النبي ﷺ وكلما كلمه أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة عند رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المِغْفَرُ، فكلما أهوى عروة إلى لحية النبي ﷺ ضرب يده بنعل السيف، وقال: أخر يدك عن لحية رسول الله ﷺ.

ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب رسول الله ﷺ وتعظيمهم له، فرجع إلى أصحابه، فقال: أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك؛ على قيصر وكسرى والنجاشي، والله ما رأيت ملكًا يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدًا، والله إن تَنَخَّمَ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحِدُّون إليه النظر تعظيمًا له، وقد عرض عليكم خطة رُشْدٍ فاقبلوها.

فقال رجل من بني كنانة: دعوني آته، فقالوا: ائته، فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه قال رسول الله ﷺ: «**هذا فلان، وهو من قوم يعظمون البدن، فابعثوها**»، فبعثوها له، واستقبله القوم يلبون، فلما رأى ذلك، قال: سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، فرجع إلى أصحابه، فقال: رأيت البدن قد قلدت وأشعرت، وما أرى أن يصدوا.

وتعزيزًا لهذه الحوارات أرسل رسول الله ﷺ عثمان بن عفان سفيرًا يؤكد لقريش موقفه وهدفه من هذا السفر، وقال: أخبرهم أنا لم نأتِ لقتال، وإنما جئنا عمارًا، وادعهم إلى الإسلام، فانطلق عثمان حتى مر على قريش بِبَلْدَح، فقالوا: أين تريد؟ فقال: بعثني رسول الله ﷺ بكذا وكذا، قالوا: قد سمعنا ما تقول، فانفذ لحاجتك، فقدم مكة وبلغ الرسالة إلى زعماء قريش.

ثم شاع بين الناس أن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد قُتل، فأدركت قريش خطورة الموقف فأرسلت سُهَيْل بن عمرو لعقد الصلح، وأكدت له ألا يكون في الصلح إلا أن يرجع عنا عامه هذا، لا تتحدث العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة أبدًا، فأتاه سهيل بن عمرو، فلما رآه ﷺ قال: «**قد سهل لكم أمركم**»، أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل، فجاء سهيل فتكلم طويلًا، ثم اتفقا على قواعد الصلح، وهي:

١- الرسول ﷺ يرجع من عامه، فلا يدخل مكة، وإذا كان العام القابل دخلها المسلمون فأقاموا بها ثلاثًا، معهم سلاح الراكب، السيوف في القُرُب، ولا يتعرض لهم بأي نوع من أنواع التعرض.

٢- وضع الحرب بين الطرفين عشر سنين، يأمن فيها الناس، ويكف بعضهم عن بعض.

٣- من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، وتعتبر القبيلة التي تنضم إلى أي الفريقين جزءًا من ذلك الفريق، فأي عدوان تتعرض له أي من هذه القبائل يعتبر عدوانًا على ذلك الفريق.

٤- من أتى محمدًا من قريش من غير إذن وليه -أي: هاربًا منهم- رده عليهم، ومن جاء قريشًا ممن مع محمد -أي هاربًا منه- لم يرد عليه.

ثم دعا عليًا ليكتب الكتاب، فأملى عليه: «**بسم الله الرحمن الرحيم**»، فقال سهيل: أما الرحمن فوالله لا ندري ما هو؟ ولكن اكتب: باسمك اللهم، فأمر النبي ﷺ بذلك، ثم أملى: «**هذا ما صالح عليه محمد رسول الله**»، فقال سهيل: لو نعلم

أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله. فقال: «إني رسول الله وإن كذبتموني»، وأمر عليًّا أن يكتب: محمد بن عبد الله، ويمحو لفظ رسول الله، فأبى علي أن يمحو هذا اللفظ، فمحاه ﷺ بيده، ثم تمت كتابة الصحيفة(١).

المسألة الرابعة: ما يستفاد من هذه الحوارات:

لقد كانت هذه العمرة مدرسة قائمة في فن الحوار، حيث جاءت حافلة بجملة كبيرة من الأحكام والآداب المتعلقة بالحوار، يمكن إجمال أهمها في النقاط الآتية:

- أنه لا يشترط في النظرة الإسلامية للحوار أن يكون غير المسلمين هم البادئون به؛ فقد استعان ﷺ بحلفائه من خزاعة في إيصال رأيه لقريش، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يعدد فوائد صلح الحديبية: «ومنها: جواز ابتداء الإمام بطلب صلح العدو إذا رأى المصلحة للمسلمين فيه، ولا يَتوقَّفُ ذلك على أن يكون ابتداء الطلب منهم»(٢).

- أهمية مقابلة الدعوة للحوار بدعوة مثلها، لطمأنة المحاوَر، كما فعل ﷺ حين أوفد عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لمحاورة قريش بعد ابتدائها بالحوار.

---

(١) اختلفت المصادر في ذكر القصة ما بين مطول ومقصر؛ فأخرجها البخاري في الجامع الصحيح، في مواضع عديدة، منها: كتاب الصلح، باب كيف يكتب: هذا ما صالح عليه فلان بن فلان، (ص٥١٤)، (ح٢٦٩٨)، (ح٢٥٥١)، ومسلم بعضها في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية، (ص٧٤٢)، (ح١٧٨٣).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد: (٣/ ٣٠٤).



- اعتناء الإسلام بمشاعر المحاوَر ومقدساته؛ فإنه ﷺ لما علم أن الحُلَيْس الكناني من قوم يعظمون البدن أمر أن يستقبل بها، فكان لذلك وقع في نفسه، فلما رآها قد قلدت وأشعرت قال: ما أرى أن يصدوا.

- التنزل مع المحاوَر والتغاضي عما قد يبدر منه رجاء انتفاعه من الحوار؛ فقد أمر ﷺ بمحو عبارات من العقد مثل: (الرحمن) و(رسول الله)، وذلك نزولًا عند رغبة المحاور، وتغاضى عن مد يد محاوره إلى لحيته الشريفة، وعن وقوعه في أصحابه، كل ذلك من أجل إنجاح الحوار.

- أن الحوار يجب ألا يكون مدعاة للهوان ولا التخلي عن المبادئ، وأنه لا بد من قوة تدعم هذا الحوار وتكون موئلا يصار إليه عند فشل الحوار؛ ولذا قال ﷺ بعد أن عرض السلم على قريش: «**وإن هم أبوا إلا القتال فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، أو لينفذن الله أمره**»، ولما شاع خبر مقتل عثمان بن عفان بمكة أخذ رسول الله ﷺ البيعة على أصحابه في المضي قدمًا للجهاد في سبيل الله فكانت بيعة الرضوان التي خلد القرآن الكريم ذكرها.

- أن الحوار متى ما حقق للمسلمين مصالح عليا كان ممدوحًا ولو كان في ظاهره شيء من الدونية؛ فقد رأى بعض كبار الصحابة في بنود صلح الحديبية إجحافا بالمسلمين، غير أن النبي ﷺ -وكذا أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- نظر لما يحققه هذا الصلح في المستقبل من المصالح العظيمة والتي تكشفت لعموم المسلمين فيما بعد.

- الأهمية الكبيرة للحوار؛ فقد عدّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الصلح الذي تمخض عن هذا الحوار فتحًا؛ فقال: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ

ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح:٢٧] فهذا الفتح وإن اختلف أهل التأويل في المراد به أهو بيعة الرضوان أم فتح خيبر أم صلح الحديبية[١]، إلا أن أكثر المفسرين على أنه الأخير؛ صلح الحديبية[٢].

يقول الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب وآمن الناس بعضهم بعضًا والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئًا إلا دخل فيه، ولقد دخل تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر»[٣].

قال ابن هشام: والدليل على ما قاله الزهري أن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة رجل في قول جابر، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف»[٤][٥].

---

(١) تفسير الطبري: (٢٢/ ٢٥٨-٢٥٩)، والتسهيل لعلوم التنزيل: (١/ ٢١٠٠)، والجامع لأحكام القرآن: (١٦/ ٢٩١).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: (١/ ٢١٠٠)، والجامع لأحكام القرآن: (١٦/ ٢٩١)، وتفسير البغوي: (٧/ ٣٢٣)، وتفسير الخازن: (٦/ ٢١٤).

(٣) السنن الكبرى للبيهقي: (٩/ ٢٢٣)، والسيرة النبوية لابن هشام: (٤/ ٢٩١)، والسيرة النبوية لابن كثير: (٣/ ٣٢٤).

(٤) السيرة النبوية لابن هشام: (٤/ ٢٩١).

(٥) لصلح الحديبية فوائد كثيرة، وإنما اقتصرت على ما له علاقة بالحوار، وللاستزادة حول نتائج الصلح يمكن الرجوع إلى: زاد المعاد في هدي خير العباد: (٣/ ٣٠٢) وما بعدها، والنظام السياسي في الإسلام: (ص٤٦)، والحوار في السيرة النبوية للسيد خضر: (ص١٢٢-١٢٥).



المطلب الثاني: التأسي بالأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في محاورتهم المشركين

المسألة الأولى: تفسير قول الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾:

تقدمت هذه الآيةَ الكريمة آياتٌ ورد فيها ذكر طائفة من الأنبياء عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام، ثم جاءت هذه الآية لتأمر النبي ﷺ أن يقتدي بأولئك الأنبياء المرسلين، فيأخذ بما هدوا ويهتدي كما هدوا في كمالاتهم كلها؛ حتى يجمع ﷺ كل كمال فيهم فيصبح بذلك أكملهم على الإطلاق(١).

وأهل التأويل قد اختلفوا في تعيين ما يجب الاقتداء بهؤلاء الرسل فيه:

- فقيل: المراد التوحيد؛ لأنه المجمع عليه بين الرسل.

- وقيل المراد الاقتداء بهم في جميع الأخلاق الحميدة والصفات الرفيعة الكاملة من الصبر على أذى السفهاء والعفو عنهم.

- وقيل: إن المراد الاقتداء بهم في شرائعهم إلا ما خصه الدليل.

- وقيل: إنه تعالى إنما ذكر الأنبياء في الآية المتقدمة ليبين أنهم كانوا محترزين عن الشرك، مجاهدين بإبطاله، بدليل أنه ختم الآية بقوله: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:: ٨٨] ثم أكد إصرارهم على التوحيد وإنكارهم للشرك بقوله: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام:: ٨٩]، ثم قال في هذه الآية: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ أي: هداهم إلى إبطال الشرك وإثبات التوحيد، ﴿فَبِهُدَاهُمُ

---

(١) التفسير الكبير للرازي: (١٣/ ٥٧)، (٢٨/ ٥٢)، وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: (٢/ ٨٨).

ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ أي: اقتد بهم في نفي الشرك وإثبات التوحيد وتحمل سفاهات الجهال في هذا الباب.

- وقال آخرون: اللفظ مطلق فهو محمول على الكل إلا ما خصه الدليل المنفصل[١].

وهذه الأقوال ليست متعارضة، ولكنها متفاوتة في الإطلاق والتقييد، والمسألة مسألة أصولية ذهب فيها الجمهور أبو حنيفة ومالك وأحمد في أشهر الروايتين إلى أن شرع من قبلنا الثابت بشرعنا شرع لنا إلا بدليل على النسخ، وخالف في ذلك الشافعي في أصح الروايتين عنه[٢].

والمهم في هذا المقام هو أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أكثر في كتابه العزيز من ذكر الحوارات التي دارت بين الرسل وأقوامهم، فكان في ذلك هدي لنبي هذه الأمة ﷺ ولها من بعده في انتهاج الحوار في الدعوة إلى الله تعالى، والتخلق بأخلاق المرسلين في حواراتهم لإيصال رسالة رب العالمين.

المسألة الثانية: محاورة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ للمشركين في القرآن الكريم؛ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ نموذجًا:

لقد بين القرآن الكريم استخدام الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أسلوب الحوار في دعوتهم لأقوامهم المشركين؛ فذكر مثلا حوار نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ مع مشركي قومه[٣]، وحوار إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ[٤].

---

(١) التفسير الكبير للرازي: (١٣/ ٥٧ بتصرف).

(٢) ينظر: أحكام القرآن للكيا الهراسي: (٤/ ٤٤٣)، وأضواء البيان: (١/ ٣٧٦-٣٧٧).

(٣) [نوح: ١٠-٢٣].

(٤) [الصافات: ١٢٣-١٢٦].



ومن أكثر حوارات الأنبياء مع المشركين ذكرًا في القرآن الكريم حوارات أبي الأنبياء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ مع أبيه وقومه ودعوته لهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام؛ فذكرها الباري جل وعلا في سورة الأنعام الآيات (٧٤-٨١)، وسورة مريم الآيات (٤١-٤٨)، وسورة الأنبياء الآيات (٥١-٧١)، وسورة الشعراء الآيات (٦٩-٨٢)، وسورة الصافات الآيات (٨٣-٩٩)، وسورة الزخرف الآيات (٢٦-٢٧).

يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤١ – ٤٨].

القصص في القرآن له حكم كثيرة[١] نص القرآن على بعضها، كتسلية النبي ﷺ[٢]، وأخذ العبر من أحوال الأمم السابقة[٣]؛ لتستفيد الأمة في تربيتها من تجارب الحضارات السابقة.

والمتأمل لحوارات إبراهيم مع أبيه وقومه يخرج بجملة كبيرة من الفوائد المتعلقة بالحوار مع المخالفين، يمكن للدعاة إلى الله في كل عصر الإفادة منها، ومن هذه الفوائد:

---

(١) حوار الأنبياء مع أقوامهم في القرآن الكريم: (ص٤٦-٥٣).

(٢) كما في الآية ١٢٠ من سورة هود.

(٣) كما في الآية ١١١ من سورة يوسف.



- تبني الرفق واللين في الخطاب.

- الإخلاص في النصح بتجلية الحق والتحذير من الباطل.

- عدم مقابلة الغلظة أو الفحش من المحاور بالمثل؛ فإن إبراهيم خاطب أباه بذلك الخطاب اللين المفعم بالحب والنصح وهو يقول «يا أبت» «يا أبت»، فقابله أبوه بهذا الخطاب العنيف، وسماه باسمه ولم يقل له يا بني في مقابلة قوله: له يا أبت، وهدده، وأمره بهجره، فقابل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضًا جوابَ أبيه العنيفَ بغاية الرفق واللين[1] بقوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾ [مريم: ٤٧].



(١) أضواء البيان: (٣/ ٤٢٧).

الفصل الثاني

موضوعات الحوار واخلاقياته

في القرآن الكريم

المبحث الأول: موضوعات الحوار في القرآن الكريم

المطلب الأول: موضوعات الحوار الدعوي في القرآن الكريم

المقصود بالحوار الدعوي في القرآن الكريم ما جاء فيه من قصص الأنبياء والرسل على شكل حوارات تدعو إلى التوحيد والإيمان بالبعث والجزاء والكف عن الرذائل المنافية للفطر السليمة[١]، فالحوارات في هذا المقام تهدف إلى إقناع الآخر بسلامة العقيدة التي يدعو إليها الإسلام رجاء قبولها واعتناق الإسلام.

ولما كان الدين الإسلامي عقيدة ومنهج حياة عُني القرآن الكريم بالاثنين معا، فتناولت الحوارات في القرآن الكريم مسائل العقيدة كالدعوة للتوحيد، ورد الشبهات التي تثار حوله، وتبيان أوجه الخطأ في الدعوات المخالفة.

ومن حوارات القرآن التي عالجت تلك المسائل نعرض للنماذج التالية لاستنباط أساليب الحوار وضوابطه في كل مجال.

المسألة الأولى: الحوار الدعوي حول التوحيد:

التوحيد هو المقصد الأسمى من الرسالات الإلهية كلها، بل من خلق الثقلين على الإطلاق؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ولذا فلا غرو أن تركز الحوارات في القرآن الكريم على تجليته والدعوة إليه.

ولكثرة ورود الحوارات حول التوحيد في سور القرآن الكريم واشتهارها[٢] يحسن الإجمال والاجتزاء بنموذج منه يُجلي أهم مرتكزات الحوار حول التوحيد:

---

(١) ثقافة الحوار في الإسلام من التأسيس إلى التأصيل: (ص١٦٢).

(٢) ينظر مثلا: الحوار لإثبات توحيد الربوبية في الآيات (٨٤-٩٠) من سورة المؤمنون، وتوحيد الألوهية في الآيات (٨٣-٩٩) من سورة الصافات، ووردت حوارات عدة أثبتت أسماء وصفات لله تعالى منها: اسم "الله" في: سورة النمل: (٢٩-٣٣) و هود: (٤٠-٤١)، وصفة الكلام في: آل عمران: (٣٨-٤١) والأعراف: (١٤٣-١٤٤).

يقول سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥﴾ مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ٨ – ١٩].

يأتي هذا الحوار في سياق المضمون العام لسورة الأنعام وهو إثبات أحقية الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بالعبادة دون سواه، وقد بان من هذه الآيات الكريمات أن الحوار حول توحيد الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ينبغي أن يركز على أمور منها:

– تبيان اختصاص الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بالملك والتصرف في الكون: ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ ﴾، ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾.



- بيان أن لا صلة تربط الداعين للتوحيد بالله غير الإيمان به، فليس ثمة رابط غير الإيمان يجعلهم أقرب من المدعوين: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، فهذا الطرح في الحوار يشعر المحاور بالطمأنينة إلى ما يُدعى إليه.

- التوحيد أمر عظيم يستدعي أن يتنزل من أجله المحاور لخصمه، ويناقشه في كل ما يطرح أو يطلب، ويبين له وجه الإعراض عنه؛ فقد جارى القرآن الكريم المشركين في طلبهم إنزال ملك يكون مع النبي ﷺ وبيّن لهم أن لا فائدة ترتجى من إنزاله؛ لأنه إن جاء على هيئته لما أمكنتهم مخاطبته والانتفاع بالأخذ عنه؛ لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة من شدة النور، ولو نزل على هيئتهم لالتبس عليهم الأمر كما هم يلبسون على أنفسهم في قبول رسالة الرسول البشري، هذا بالإضافة إلى أنهم إن كذبوا الرسول الملكي عاجلتهم العقوبة ولم ينظروا[١].

المسألة الثانية: إثبات أوجه الخطأ عند المخالفين:

من أساليب الحوار الدعوي في القرآن الكريم تبيان أوجه الخطأ عند المخالفين، ذلك أن صدَّ المرء عن رأيه المخالف للحق قد لا يكفيه فيه الحكم بخطئه، بل لا بد من بيان وجه الخطأ له ليكون ذلك أحظى لانتفاعه، ومن ذلك مثلًا:

- أنه لما ادعى اليهود والنصارى بنوتهم لله تعالى بقولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨]، رد القرآن الكريم عليهم بقوله: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم﴾ [المائدة: ١٨]، أي: إن ادعاءكم هذا منتقض باعترافكم بأنه سيعذبكم قدر ما عبدتم العجل: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة:: ٨٠]، ولو كنتم كما

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: (٦/ ٣٩٣-٣٩٤)، وأضواء البيان (١ / ٤٧٢)

تزعمون ما نالكم من الله سوء، ثم بين لهم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ حقيقتهم بقوله: ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة: ١٨].

- أنه لما ادعى أهل الكتاب قصر دخول الجنة عليهم بقولهم: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١] بين الله تعالى لهم أن ذلك لا يعدو كونه أماني، بدليل أن لا برهان لهم عليه، وأنه لما لم تكن لله بخلقه رابطة نسب يجازيهم عليها لم يبق إلا أن يكون الجزاء -الذي هو دخول الجنة -بناء على الاستسلام لله والانقياد لأوامره جلّ وعلا، فكل من انقاد لله، وامتثل أوامره، واجتنب نواهيه، أحلَّ عليه رضاه، وأمّنه من سخطه.

المسألة الثالثة: رد الشبهات والطعن في الإسلام:

أثار المشركون وأهل الكتاب في عصر التنزيل شبهات حول الإسلام وحاولوا الطعن من خلالها في الدين، فكان الوحي يتنزل بالرد عليها مستخدمًا أسلوب الحوار، فمن ذلك -مثلًا-: قول الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢]، أي: سيقول الجهال من الناس: أي شيء صرف النبي ﷺ والمؤمنين عن استقبال بيت المقدس في الصلاة كما كانوا يفعلون[١]؟

وهؤلاء السفهاء قيل: المراد بهم أحبار اليهود، حاولوا الطعن بهذا القول في الإسلام من جهة أنهم هم لا يرون النسخ أصلًا، ومن جهة أن نسخ القبلة قد يظن بسببه ضعاف اليقين أن النبي ﷺ ليس على يقين من أمره حيث يستقبل يوما جهة، ويوما آخر جهة أخرى[٢]. وقيل: المراد بالسفهاء مشركو قريش، أنكروا

(١) تفسير الطبري: (٣/ ١٢٩)، وتفسير الجلالين: (ص٢٩).
(٢) أضواء البيان: (١/ ١٤).



تحويل القبلة وقالوا: قد اشتاق محمد إلى مولده، وعن قريب يرجع إلى دين قومه. وقيل: المراد بهم المنافقون[١].

وقد رد الله على أصحاب هذا القول بأن الله يحكم ما يريد، والجهات كلها له، فلا اعتراض عليه، فهو يأمر عباده بالتوجه إلى أي جهة شاء؛ لحِكم، منها: الابتلاء في الانقياد المطلق لأوامره[٢].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: (٢/ ١٤٨)، والتسهيل لعلوم التنزيل: (١/ ٦٢)، وتفسير ابن كثير: (١/ ٢٣٦).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: (١/ ٦٢).

المطلب الثاني: موضوعات الحوار التعاوني لخدمة المشتركات الإنسانية

كان الحديث في المطلب السابق عن الحوار الدعوي الذي يبتغى من ورائه إقناع الخصم بصحة هذا الدين وبطلان ما خالفه، غير أن الحوار في القرآن الكريم تطرق لموضوعات ومجالات أخرى من الحوار لا تهدف -بطريقة مباشرة على الأقل- إلى إقناع الخصم بالانخراط في هذا الدين بقدر ما تحاوره لإنارة السبيل حول المجالات التي يمكن لبني البشر أن يتعاونوا عليها؛ تحقيقًا لعيش أهنأ، وحياة أكرم في هذه الدنيا، وفيما يلي عرض لبعض تلك المجالات:

المسألة الأولى: الحوار من أجل عمارة الأرض:

لقد استخلف الله الإنسان في الأرض، واقتضت حكمته ألا يكون بنو البشر ملة واحدة متفقين، بل قد قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨-١١٩]، إلا أن هذا الاختلاف لا يعني بالضرورة الصدام والتنافر، بل إن الله تعالى لما خلق الإنسان اجتماعيًّا بطبعه أراد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يتعاون مع بني جنسه على ما يعينه في حياته، وعلى القيام بمهمة الاستخلاف التي وكل الله تعالى إليه كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]؛ ولذا كانت الرسل تدعو أقوامها لمثل هذا التعاون على عمارة الأرض.

فهذا نبي الله صالح -عليه وعلى نبينا السلام- يحاور قومه ثمود قائلًا: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾، فقد ذهب جماعة من المفسرين إلى أن معنى ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ﴾ أي: جعلكم عمارها وأمركم بعمارة ما تحتاجون إليه من بناء مساكن وغرس أشجار. وقيل: ألهمكم عمارتها من

الحرث والغرس وحفر الأنهار وغيرها[١]، فالاستعمار: طلب العمارة، والطلب المعلق من الله للوجوب[٢]، فيكون السعي في عمارة الأرض واجبًا، وهذا القول بإرادة طلب العمارة من قوله: ﴿وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ﴾ وإن كان لا يتناسب مع ورود الآية في مقام الامتنان، إلا أن الامتنان بعمارة الأرض في حد ذاته كافٍ في لفت الانتباه إلى أهمية هذه العمارة، والتعاون على تعزيزها، وقد أشار القرآن الكريم إلى أهمية التعاون بين بني البشر لعمارة الأرض بقوله جل شأنه: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ﴾ [الرحمن: ١٠].

وعمارة الأرض اليوم تقتضي -أكثر من أي وقت مضى- تعاون المجتمعات على اختلاف مللها ونحلها؛ لاختلاف قدراتها وطاقاتها، ولتكاملها، فالعنصر البشري المدرب، والموارد الطبيعية، والطاقة الاستيعابية، تمثل عوامل العمارة، وهي إنما تملكها دول العالم مجتمعة، ولا تستقل دولة باحتياجاتها منها.

المسألة الثانية: علاج المشكلات المشتركة:

تعيش المجتمعات البشرية اليوم مشاكل جمة، تزلزل تماسكها، وتهدد وجودها، ولا سبيل لحلها إلا من خلال التعاون بين مختلف المجتمعات؛ ولذا باتت الدعوة للحوار حول المشاكل العالمية ملحة في نظر الكثير من علماء العالم ومفكريه، وفيما يلي عرض لبعض المشاكل التي تعاني منها الإنسانية اليوم والتي كان للقرآن الكريم موقف منها يصح تقديمه للعالم عبر الحوار للإفادة منه.

---

(١) تفسير الماوردي: (٢/ ٤٧٩)، والتسهيل لعلوم التنزيل: (٢/ ١٠٨)، وتفسير البحر المحيط: (٥/ ١٩٦)، تفسير النسفي: (٢/ ١٦٥).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي: (٣/ ١٠٥٩)، أحكام القرآن للكيا هراسي: (٤/ ٢٢٦)، وروح المعاني: (١٢/ ٨٨).

الفقرة الأولى: مشكلة التفكك الأسري:

لقد كان للثورة الصناعية التي عرفتها الدول الغربية تأثيرا كبيرا، ليس فقط على الحياة الاقتصادية والسياسية فحسب، بل أيضا على الحياة الاجتماعية، فكان لإخراج المرأة من بيتها وجعلها شريكة للرجل في شتى الميادين أثر كبير في تصدع كيان الأسرة؛ بسبب انشغال أحد ركائزها عن الدور المنوط به فطريًّا؛ فعرفت هذه الدول نظامًا اجتماعيًّا جديدًا يقوم على تحطيم مؤسسة الزواج واعتماد الحسابات الرياضية في العلاقات الاجتماعية، ولما كان هذا النظام بوسع المرء إنشاؤه في كل حين ومع كل طرف لم تعد مزية لأي طرف، فلم يعد للأبوين على أطفالهما فضل، والعكس صحيح؛ فانهارت الأسرة، والمجتمع على إثرها سائر.

وقد بدأت بعض الأصوات من داخل المجتمعات الغربية تنادي بضرورة الإسراع بانتشال مجتمعاتها من الورطة التي وقعت فيها جراء هذا النظام الاجتماعي، فصارت تمد يدها شرقا وجنوبا بحثًا عن حلول لمشكلتها، وتدخل في حوارات مع مختلف الحضارات بحثًا عن حلول جذرية وآمنة.

ولا شك أن الحضارة الإسلامية كونها تعتمد على الوحي المنزل من رب العالمين لديها نظام أسري لا يدانيه نظام بشري في سموه ورفعته، كيف لا؟ وهو من عند خالق البشر، وهو أعلم بما يَصلح لهم وما يُصلحهم؛ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤]، فقد أقام الإسلام نظاما اجتماعيا يرى في الأسرة الوحدة الرئيسية لبناء المجتمع، فأرساها على دعائم من المودة والرحمة واستحضار البعد الديني في إنشائها واستمرارها، فسمى الله العقد المنشئ لها ميثاقًا غليظًا[١]،

---

(١) كما جاء في الآية ٢١ من سورة النساء.

ورتب حقوقًا وواجبات بين جميع أطرافها تتسم بالتوازن ومراعاة الفروق الخلقية.

الفقرة الثانية: مشكلة الشذوذ الجنسي:

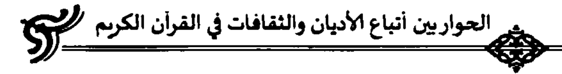
إن مشكلة الشذوذ الجنسي باتت تهدد كيان المجتمع الإنساني بالانهيار، خصوصًا تزايد الحركة النسائية الداعية إلى إيجاد مجتمع موحد الجنس حيث لا فرق بين الرجل والمرأة مطلقا، ومع تزايد الأصوات المطالبة بتشريع ممارسة أشكال الشذوذ المختلفة «الجندرية»[(١)]، تلك المطالبة المناقضة للفطر السليمة ولحكمة الله القائمة على بناء الكون كله على مبدأ التزاوج بين زوجين اثنين متكاملين لا متماثلين[(٢)]؛ ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يس: ٣٦]، وقد قص القرآن الكريم حوار نبي الله لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ مع قومه، ودعوته لهم إلى نبذ ما يأتونه من الشذوذ المتمثل في فاحشة اللواط، فقال تعالى على لسان لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ [الشعراء: ١٦٥ – ١٦٧].

إن موضوعًا كموضوع الشذوذ الجنسي حري بأن تتحاور حوله المجتمعات وتقارن وجهات نظر الأديان والفلسفات المختلفة حوله؛ إذ هو موضوع لا يتأثر

---

(١) الجندريّة: فلسفة تسعى إلى تماثل كامل بين الذكر والأنثى، وترفض الاعتراف بوجود الفروقات، وترفض التقسيمات، حتى تلك التي يمكن أن تستند إلى أصل الخلق والفطرة. فهذه الفلسفة لا تقبل بالمساواة التي تراعي الفروقات بين الجنسين، بل تدعو إلى التماثل بينهما في كل شيء، وتطالب هذه الفلسفة بتعدد صور وأنماط الأسرة؛ فيمكن أن تتشكّل الأسرة في نظرهم من رجلين أو من امرأتين، ويمكن أن تتألف من رجل وأولاد بالتبنّي، أو من امرأة وأولاد جاؤوا ثمرة للزنى أو بالتبنّي، وقد تم الاعتراف حاليا بالزواج المثلي في كل من هولندا، وبلجيكا، وإسبانيا، وكندا، ودول أخرى!

(٢) شركاء لا أوصياء: (ص٦٤٧).



منه مجتمع معين، بل إن مساوئه تطال حتما -عاجلا أو آجلا - باقي المجتمعات، ولذا فالتعاون لحله مطلب إنساني سامٍ.

الفقرة الثالثة: مشكلة الخواء الروحي وانتشار الإلحاد:

لقد استطاعت الدول المتقدمة صناعيا اليوم أن تبلغ بالإنسان من المتعة والرفاهية الماديين درجة كبيرة، لكن هذه المتعة وهذا الرفاهية صاحبهما خواء روحي قاتل، ذلك أن الإنسان جسم وروح، وكل حيف لصالح أحدهما يفقد الإنسان توازنه، والكون استقراره؛ ولذا فإن الدول الغربية التي أشبعت الغرائز والحاجات المادية لأبنائها لم تجد مجتمعاتها السعادة والاطمئنان؛ بسبب عجزها عن إشباع الحاجات الروحية، فطفقت هذه المجتمعات تتخبط في كل اتجاه بحثا عن حلول، فلم تجد في الفلسفات المحيطة بها الغَناء؛ لأنها إما فلسفات مادية إلحادية لا تقيم للروح وزنا أصلا، أو أطروحات دينية تدعو للرهبانية والتبتل والانقطاع عن ملاذّ الحياة، فكانت النتيجة أن استشرت في هذه المجتمعات الأمراض النفسية والعصبية، وبلغت بها حالات الانتحار أرقاما قياسية(١).

وقد عالج القرآن الكريم تجربة شبيهة بأوضاع المجتمعات الغربية مرت بها بعض المجتمعات الإنسانية من قبل، فقص القرآن الكريم محاورة قوم قارون له لما آتاه الله من الدنيا حظا عظيما فطغى وتجبر، وعاند وتكبر؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٦ – ٧٧].

---

(١) تنظر الإحصاءات الواردة في صحيفة الاقتصادية الإلكترونية: العدد: (٦١٩٦)، بتاريخ: ١٩/ ١٠/ ١٤٣١هـ.



إن هذا الخواء الروحي وما قاد ويقود إليه من مشاكل يجعل منه موضوعًا خصبا للحوار بين المجتمعات البشرية؛ لعلاجه والتخفيف من آثاره.

الفقرة الرابعة: مشكلة المسكرات والمخدرات:

من أكبر المشاكل العابرة للقارات اليوم مشكلة المسكرات والمخدرات، تلك المشكلة التي أرّقت الساسة والمثقفين، وأنهكت خزائن الدول، وأفقدت المجتمعات طاقة بشرية كبيرة، إنْ بسبب تعاطيها، أو محاربة عتاة مجرميها، فكانت شعوب العالم ليست فقط بحاجة للتنسيق في مواجهة عصاباتها، وإنما وبشكل أكبر للنظر في وجهات النظر المختلفة للحد من انتشارها بين أفراد المجتمع، ولا شك أن التدين بشكل عام من أنجع وسائل الوقاية من هذه الآفات؛ لما يزرعه في الشخص من حصانة ذاتية تكون عونًا للجهد المجتمعي في محاصرة ومحاربة هذه الآفة.

وقد تناول القرآن الكريم هذه الآفة، وأعطى نموذجًا في محاربتها يتمثل في الاعتماد على سنة التدرج في مواجهتها، وبيّن القرآن الكريم أن القضاء عليها يستلزم التعريف بمساوئها؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾، فبين سبحانه عللا متعددة في تحريم الخمر والميسر، وبدأ بعلة كافية في التحريم لدى العقلاء عامة بغض النظر عن إيمانهم من عدمه؛ فهذه المسكرات والمخدرات تشيع بين الناس عامة متعاطين ومتاجرين وبين أفراد المجتمع كله ضروبا من العداوة والبغضاء؛ فالخلافات بين عصاباتها ذائعة مدمرة، والتفكك الأسري والخلافات المالية الخطيرة بين المتعاطين لها تحفل بها المحاكم، والمجتمعات تئن من وطأتها في كل مكان.

ومن ثم فما من شك في أن التحاور بشأنها يخدم المجتمعات قاطبة بغض النظر عن دينها أو ثقافتها.

الفقرة الخامسة: مشكلة الظلم والاحتلال وضحايا الحروب والكوارث المختلفة:

من القيم التي فطر الله تعالى الناس عليها مقت الظلم بكل أنواعه، فشعوب العالم أجمع -مارست الظلم أو لم تمارسه - تدرك أنه يخالف القيم الإنسانية، ويحول دون التعاون بين بني البشر؛ ولذا كان موضوع الظلم والاحتلال موضوعًا يسوغ للمجتمعات على اختلاف أديانها وفلسفاتها أن تتعاون عليه.

وما يعرفه العالم اليوم من الظلم والاحتلال البشعين اللذين يمارسهما الكيان الصيهوني ضد فلسطين أرضًا وشعبًا، وما تعبر عنه شعوب العالم من معارضة لتلك الممارسات دليل على أن في العالم قيما إنسانية مشتركة بوسع دعاة العصر ومصلحيه تعزيزها من خلال ثقافة الحوار، وإيصال الصورة الحقيقية لما تعانيه الشعوب المظلومة من قهر وسلب ونهب ودمار وتشريد.

والمتأمل في القرآن الكريم يجد فيه مثل هذه النظرة العالمية لمقت الظلم؛ فمثلا في حوار نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع فرعون استنكر موسى على فرعون امتنانه عليه بتربيته: قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ٢٢]، وذلك أن تربيته له إنما كانت نتيجة ظلمه العام لبني إسرائيل بتعبيده لهم[1]، وما استنكار موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلا لعلمه بأن فرعون وإن مارس الظلم يدرك في قرارة نفسه بشاعته وقبحه.

---

(١) التفسير الكبير للرازي: (٢٤/ ١١٠)، والجامع لأحكام القرآن: (٥/ ٢٨٥)، و(١٣/ ٩٤)، والدر المنثور: (٦/ ٢٩٢).

وقد ذكر القرآن الكريم التحاور حول التعاون لمنع الظلم والإفساد في الأرض في قصة ذي القرنين: قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ [الكهف: ٩٢ – ٩٤].

الفقرة السادسة: مشكلة الجهل والتخلف في ميادين التنمية:

إن تجارب الأمم في مجالات التنمية متمايزة ومتنوعة، والتنمية وإن كانت تعتمد في فلسفتها العامة على مرتكزات وقيم متباينة إلا أنها في ميادين التنفيذ والتفصيل تعرف تطبيقات وتجارب عملية تستطيع شعوب العالم على اختلاف ثقافاتها الإفادة منها، ومن ثم كانت نظريات التنمية الاقتصادية ومحاربة مشاكلها مضمارا واسعا للتعاون بين مختلف الدول والثقافات، فهناك مشاكل إنسانية كبيرة يعاني منها المجتمع البشري وتعوق نهضته وتقدمه: كالبطالة، والفقر، وأزمة نقص الغذاء، ومشاكل البيئة؛ والتصحر، والتلوث، والاحتباس الحراري، ومكافحة الأوبئة، كما أن هناك مجالات معرفية وثقافية يسهم التعاون فيها في القضاء أو التخفيف من مشكلة الجهل التي هي إحدى أكبر المعوقات الهيكلية للتنمية، ولشعوب العالم تجارب متفاوتة في القضاء عليها، تستطيع الشعوب على اختلاف أديانها وثقافاتها الإفادة منها، وقد تقدم في التعاون على ما يحقق المنافع ويدفع المفاسد قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٢].

الفقرة السابعة: مشكلة الإرهاب والاعتداء على المسالمين والمعاهدين:

إن من الكليات التي اتفقت عليه الشرائع حفظ النفس البشرية، والإسلام في مقدمة هذه الشرائع في حفظ كرامة الإنسان، وصون دمه؛ ولذا يعد الإسلام قتل

النفس بغير حق إحدى الموبقات السبع، وآيات الكتاب المبين طافحة بالتحذير منه، وقد بين الله سبحانه عِظم ذلك لما جعل قتل النفس الواحدة بمنزلة قتل الناس جميعا في قوله: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، وهذا التشبيه يقصد منه تهويل القتل بغير حق، و«حثّ جميع الأمّة على تعقّب قاتل النّفس وأخذه أينما ثقف، والامتناع من إيوائِه أو الستر عليه، كلّ مخاطب على حسب مقدرته وبقدر بسطة يده في الأرض، من ولاة الأمور إلى عامّة النّاس»(١).

ويدخل في هذا التهويل وهذا الزجر الشديد قتل الذميين والمعاهدين؛ لأدلة كثيرة، نشير منها إلى قول النبي ﷺ: «من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عامًا»(٢)، وقوله ﷺ: «ألا من ظلم معاهدًا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة»(٣).



(١) التحرير والتنوير: (٦/ ١٨٣).

(٢) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الجزية والموادعة، باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم، (ص٦٠٧)، (ح٣١٦٦).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الخراج، باب في تعشير أهل الذمة: (٣/ ١٣٦)، (ح٣٠٥٤).



المبحث الثاني: أخلاقيات الحوار في القرآن الكريم

المطلب الأول: احترام المحاور والتدرج في الحوار

المسألة الأولى: احترام المحاور:

من الآداب العظيمة التي تلوح للناظر في الحوار في القرآن الكريم: الاحترام الكبير للمحاور، ومن تجليات ذلك الاحترام ما يأتي:

- **جدال المحاور بالتي هي أحسن:** فقد أمر القرآن الكريم بالمجادلة بالتي أحسن فقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وقال ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥] وما ذلك إلا لأن المحاور في الإسلام ينبغي أن يحرص على كسب القلوب أكثر من حرصه على كسب المواقف؛ ولذا قال تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ [فصلت: ٣٤]، وليس ذا الموضع الوحيد الذي ورد فيه الحث على المجادلة بالتي هي أحسن بل قد ورد من القرآن الكريم في مواضع كثيرة:

قال تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [البقرة: ٨٣]، وقال: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [الإسراء: ١٢٥]، وما هذا الإطلاق في الأمر بالإحسان في القول إلا لأنه مهما يكن المحاوَر فلن يكون أضل وأطغى ممن قال لقومه: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص: ٣٨]، ومن عامل قومه شر معاملة فكان ﴿يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ﴾ [القصص: ٤]، ومع ذلك كله أمر الله تعالى موسى وهارون عليهما السلام أن يلينا له القول فقال لهما: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٤٣ – ٤٤].



- **الإنصات إلى المحاور**: فهذا رب العزة جل جلاله وتقدست أسماؤه وهو الكبير المتعال أورد في كتابه العزيز حواره جلّ شأنه مع إبليس اللعين في أكثر من موضع(١)، يسمع منه -وهو أعلم به من نفسه- ردوده ودفاعه عن نفسه في عصيانه(٢): ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ۝٧٥ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾ [ص: ٧٥ - ٧٦].

- **التكافؤ**: فمن تجليات احترام المحاور منحه الندية والتكافؤ؛ فهذا خير المرسلين محمد ﷺ يقول عنه وعن خير البشر بعد المرسلين في حواره مع عبدة الحجارة والطين: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ: ٢٤]، فيضعهم موضع الند قائلا لهم: «تعالوا لنبحث معًا بعلمية وموضوعية وبتبصر وبصيرة، بعيدًا عن الهوى ونصرة الذات، ومن أجل الوصول إلى الحقيقة والهدى»(٣).

إن مثل هذا التنزل مع المحاور معلم سبق للقرآن في تاريخ الحوار في العالم، فإن النبي ﷺ يقول لمحاوريه لقد منّ الله على أحدنا بالهداية فلنجعل الحوار دليلنا لتمييز ذلك الموفَّق ليقتدي به الآخر، ثم لا يقف تنزله ﷺ مع المحاور عند هذا الحد، بل يذهب به أبعد من ذلك فيقول: وعلى فرض أنكم كنتم المهديين فالله لن يحاسبكم على ما آتيه أنا وأصحابي، وسماه إجرامًا مجاراة لخصمه في اعتقاده، مع أن الطرف الآخر هو من يأتي بأشنع الجرائم وفي مقدمتها الشرك بالله تعالى، ثم يلتفت إلى فعلهم هم فيتحاشى الأوصاف الشنيعة في ذكره ويكتفي ببيان أن الله

---

(١) كما في: [الأعراف: ١٢-١٨]، و[الحجر: ٣٢-٤١]، و[ص: ٧٥-٨٥].

(٢) الحوار في الإسلام، للدكتور الموجان: (ص٨٧).

(٣) شركاء لا أوصياء: (ص٤٥٥).

سبحانه أيضا لن يحاسب المسلمين على ما يعمله هؤلاء، وما ذلك إلا لأن الحوار النافع يقتضي تقدير المحاور وعدم إحراجه بوصف فعله بالإجرام.

المسألة الثانية: التدرج في الحوار:

الحوار في القرآن يربي المسلم على جملة كبيرة من الآداب، يوصله التخلق بها إلى نيل مبتغاه من الحوار؛ ومن جملة تلك الآداب التدرج والبدء بالأهم؛ التدرج في عرض الأدلة، والتدرج في عرض المسائل، وما ذلك إلا لأن الأمر إذا سهل في ابتدائه حبب إلى النفس، وتلقته بانبساط[(١)]، ولأن العلوم كما يقول الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مرتبة ضروريا، وبعضها طريق إلى بعض، والموفق من راعى ذلك الترتيب»[(٢)].

والمتتبع للحوار في القرآن الكريم يجد هذا الأدب فيه جليا، فمن ذلك:

- حوار إبراهيم مع ملك زمانه نمروذ بن كنعان، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، فإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تدرج في عرض الأدلة فبدأ بقوله: ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ وهو دليل بيّن، لكن لما عارض محاوره بقوله: ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ﴾ انتقل به من حق إلى حق أظهر منه، ومن دليل إلى دليل أبين منه[(٣)] فقال له: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ ﴾.

---

(١) الحوار في القرآن: (٢/ ٩٥٦).

(٢) إحياء علوم الدين: (١/ ٥٢).

(٣) أحكام القرآن لابن العربي: (٣/ ١٤٨٨).

- وعلى سنة التدرج في الحوار درج يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ في حواره مع صاحبي السجن؛ يقول الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في ذكر فوائد قصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ومنها أن يبدأ بالأهم فالأهم»، فيوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ بدأ بالأهم، وهو قضية التوحيد متدرجا في عرضها، فبدأ بسؤال يستثير فيه فطر محاوريه قائلا: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]، ثم خطا خطوة أخرى بتفنيده عقائد الجاهلية بقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ﴾ [يوسف: ٤٠]، ليصل بهم إلى النتيجة الطبيعية وهي الانقياد لحكم الله تعالى فقال: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾[يوسف: ٤٠]، ثم بعد عرضه التوحيد وصل بالمحاورين إلى الجواب عن مسألتهم.



المطلب الثاني: مراعاة نقاط الاشتراك والإقرار بالخلاف

المسألة الأولى: مراعاة نقاط الاشتراك:

لا يخلو متحاوران عادة من نقاط اشتراك واتفاق، قد تضيق وقد تتسع، لكن العرض لها يشيع جوا من المودة، ويؤسس لبناء جسر من التفاهم؛ ولذا نجد الحوار في القرآن الكريم يولي اهتماما كبيرا لمسألة المشتركات مع الآخرين، فيبدأ بها قبل العرض لمسائل الخلاف: ففي الحوار القرآني مع مشركي العرب يقول تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤ – ٨٩]، فبدأ الحوار بتوحيد الربوبية الذي يقرون به.

كما استخدم القرآن ذات الأسلوب في محاورة أهل الكتاب فقال تعالى لنبيه محمد ﷺ في حواره مع النصارى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًۭٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًۭا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [آل عمران: ٦٤]، أي: إننا «نحن وإياكم على اعتقاد أن العالم من صنع إله واحد، والتصرف فيه لإله واحد، وهو خالقه ومدبره، وهو الذي يُعرفنا على ألسنة أنبيائه ما يرضيه من العمل وما لا يرضيه، فتعالوا بنا نتفق على إقامة هذه الأصول المتفق عليها، ورفض الشبهات التي تعرض لها»[١].

---

(١) تفسير المنار: (٣/ ٢٦٨).

المسألة الثانية: الإقرار بالخلاف:

من سنن الله تعالى أن جعل خلقه مختلفين: لونًا، ولسانًا، وميولًا...، والحوار في القرآن الكريم يضع هذه الحقيقة نصب عين المحاور، فالمحاور في الإسلام عليه أن يُبيّن الحق الذي لا لبس فيه ولا خفاء، فذاك الجهد الموكول إليه، وأما اقتناع الآخر به فهي هداية الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء، هذه الحقيقة تجعل الحوار يبتعد عن صفة «الشخصية» فيبتعد المحاور عن استخدام الوسائل غير اللائقة انتصارًا لذاته.

فهذا إمام المرسلين وقدوة المحاورين في كل زمان يقول له الحق تبارك وتعالى -وللأمة من بعده- بعد محاورة أهل الكتاب: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤] فلم يأمره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في ختام الحوار أن يُعنف على أهل الكتاب لرفضهم كل ما دُعوا إليه، ولا أن يُغلظ لهم في القول، بل بإشهادهم على حقيقة ما هو عليه ﷺ وأصحابه وأنه هو الإسلام، وبعده فليختر من شاء ما شاء، وذلك أنه لا إكراه في دين الإسلام، وإنما الحوار فيه مبني على القاعدة العظيمة في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].



المطلب الثالث: آداب الحوار من خلال نموذج من حوارات الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤١ – ٤٧].

آداب الحوار تخلَّق بها الرسل الكرام، فاشتملت عليها حواراتهم الواردة في القرآن الكريم، مع اختلاف بينها فيما تركز عليه حسب المقام، وحوار إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ مع أبيه آزر من تلك الحوارات التي تضمنت جملة من تلك الآداب؛ فقد كان آزر واقعًا في أعظم ذنب وهو الشرك بالله، وكان إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ يدعوه لأعظم أمر يُدعى إليه وهو الإيمان بالله تعالى، ومع أن الكفر والإيمان ضدان، فقد بدأ إبراهيم الحوار لأبيه بلين وأدب جميل، فاستعطفه بنداء الأبوة ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾، وكرره عليه في كل خطاب له، يستثير بذلك أبوته الحانية، ويلامس به شغاف قلبه.

وتدرج عَلَيْهِ السَّلَامُ في الحوار فحاول دفع أبيه ليكتشف الحق بنفسه بتساؤله: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ عارضا بذلك للمسلمات المتفق عليها؛ فآلهة آزر أصنام منحوتة من الحجارة، هي في حقيقتها وواقعها لا تسمع دعاء، ولا تفهم ثناء، ولا تجيب نداء، ولا تبصر خضوع خاضع، ولا



خشوع خاشع[١].

وبعد بيان إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ الحق في أنصع صوره، ورفض أبيه الحَيْد عن جوره، أدرك عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قد أدى الذي عليه، فلم يقابل موقف أبيه بالتشنيع، بل ختم الحوار بأدب رفيع، مفوضًا أمره لمقلب القلوب، فقال: ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ﴾.



(١) ضوابط الحوار في الفكر الإسلامي: (ص٤٢-٤٣).

الفصل الثالث

مسيرة الحوار وآثارها

بين أتباع الأديان والثقافات

المبحث الأول: أنواع الحوارات بين أتباع الأديان والثقافات

المطلب الأول: الحوار التقريبي التذويبي

شهدت العقود المنصرمة أشكالا مختلفة من الحوارات بين أتباع الأديان والثقافات؛ كان من أبرزها ذلك الحوار الذي يبغي من ورائه أصحابه خلق دين جديد تنصهر فيه الأديان السماوية، بحيث يتنازل فيه أتباع الأديان المختلفة عن بعض ثوابتها لصالح الاندماج في الدين الجديد، كما روج له أصحاب الدعوة الإبراهيمية(١).

وهذا النمط من الحوارات لم يكتب له النجاح لاعتبارات عدة، منها أنه مخالف لسنة الله في خلقه؛ فقد قدّر الله على بني البشر ألا يزالون مختلفين؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ﴾ [هود: ١١٨ – ١١٩]، كما أن هذه الدعوة تصادم ضروريات في الدين لا سبيل لمجاوزتها؛ فقد عرضت قريش نحوًا من هذا العرض على النبي ﷺ فعرضوا عليه أن يعبدوا إلهه ويعبد آلهتهم، فأنزل الله تعالى سورة الكافرون(٢) وختمها بقوله سبحانه على لسان نبيه ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].

فالأديان «لا تتداخل ولا تُميّع، فلكل دين حدوده، وإذا ماعت الحدود بين الأديان ضاعت»(٣)، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ﴾ [آل عمران: ١٩]، ويقول: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

---

(١) محاضرة مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار بين أتباع الأديان والثقافات؛ أبعادها وآثارها: (ص٦).
(٢) تفسير القرآن الكريم لابن أبي زمنين: (٥/ ١٦٩)، وتفسير العز بن عبد السلام: (ص٤٩٨).
(٣) حوار الثقافات(إدارة الأجندات والسيناريوهات المتنازعة): (ص٤٣).

المطلب الثاني: الحوار الدعائي التبشيري

هذا النمط من الحوار تعتمد أطرافه على استغلال لقاءات الحوار لا للبحث حول إمكانيات التعاون من أجل إيجاد أرضية مشتركة للعمل الإنساني ترفع من التحديات التي تواجهها البشرية، بقدر ما تبحث أطرافه عن تلميع نفسها وكسب الأتباع(١).

وقد أشار القرآن الكريم إلى مثل هذه الحوارات في ذكره لحوار موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع فرعون حين أراد فرعون أن يحشد الناس لشهود حوار سحرته مع موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ فقال لهم: ﴿هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ [الشعراء: ٣٩ - ٤٠].

إن هذا النوع من الحوارات لم ولن يفلح في جمع أتباع الأديان والثقافات على أرضية مشتركة تحترم الخصوصية وتعزز التعاون الإنساني؛ لأن ذلك ببساطة ليس الهدف الأسمى من هذه الحوارات، وإنما هي إحدى وسائل تكثير الأتباع بدليل أن فاتيكان الكنيسة الكاثوليكية الذي أقام مؤسسات للحوار مع المسلمين، ودعا إلى مؤتمرات عدة للحوار كان يسعى جهده لصد الشعوب عن دياناتها، خصوصا الشعوب الفقيرة في العالم، فرفع شعار "إفريقيا نصرانية سنة ٢٠٠٠م"" ولما أزف الموعد ولم يتحقق الوعد مد الطمع إلى ٢٠٢٥م، وبنفس الروح دخلت الكنيسة البروستانتية الإنجيلية؛ فقد كان محاوروها يضعون نصب أعينهم بروتوكلات مؤتمر كولورادو سنة ١٩٧٨م التي جاء فيها: «لكي يكون هناك تحول

---

(١) محاضرة مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار بين أتباع الأديان والثقافات: (ص٦).

إلى النصرانية فلا بد من وجود أزمات ومشاكل وعوامل تدفع الناس أفرادا وجماعات خارج حالة التوازن التي اعتادوها... إن تقديم العون لذوي الحاجة قد أصبح عملًا مهما في عملية التنصير»[١].

(١) في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام: ص(١٦٠-١٦٢ بتصرف).

المطلب الثالث: الحوار الاستعلائي الإملائي

نوع آخر من الحوار راج في الفترات المتأخرة، هو الحوار الاستعلائي، أول خصائص هذا الحوار عدم التكافؤ بين أطرافه، فبعض أطرافه ينظر بالدونية للأطراف الأخرى، والحوار بالنسبة له لا يعدو كونه وسيلة مؤدبة لإملاء آرائه وفلسفته في الحياة، ومن خصائص هذا الحوار التصنيف الثنائي للشعوب، فبعض أطرافه يرى كل من لم يجاره في رأيه وأحكامه على الآخرين مناقضا له ومعاديا، على حد قول قائلهم: **«إما أن تكونوا معي أو ضدي»**[١].

إن الحوار الاستعلائي ليس أمرًا جديدًا على البشرية؛ فقد أورد القرآن الكريم نموذجًا منه في عرضه لحوار فرعون مع موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فإن فرعون لما رآى الآيات خاف على قومه أن يتركوه ويتبعوا موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فقال: ﴿ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ [الزخرف: ٥١ – ٥٢]، فقد كان مقصوده بذلك كله تعظيم أمر نفسه وتحقير أمر موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي كان يحاوره، وأنه لا يمكن أن يتبع الفاضل المفضول[٢]؛ سعيًا منه لصرفهم عن اتباع الحق الذي جاء به موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

---

(١) محاضرة مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار بين أتباع الأديان والثقافات: (ص٧).

(٢) أضواء البيان: (٤/ ٢٧).



المطلب الرابع: الحوار الجدلي الإفحامي

«الغاية من الحوار إقامة الحجة، ودفع الشبهة والفاسد من القول والرأي»[(١)]، وإفحام المحاور وانقطاعه دليل على ضعف حجته وانتصار لحجة محاوره؛ ولذا فهو مقصد مقبول في المناظرات، لكن ذلك ليس على إطلاقه، بل إن ذلك مقيد بما إذا كان الحوار دائرا بين أهل الاختصاص من العلماء الساعين لمعرفة الحق لاتباعه، وأما حين يكون الحوار بين العامة أو معروضا عليهم فإن الإفحام فيه يكون سلبيا من جهة أن الطرف الآخر لا يبعد أن تأخذه العزة بالإثم فيتشبث برأيه فيضيع الحق.

وقد قامت حوارات من قبيل الحوار الجدلي الإفحامي بين بعض الدعاة المسلمين والقساوسة النصارى، لكن عند التأمل في فوائد نشرها للعامة يظهر أنها لا تخدم الهدف الأسمى للحوار؛ وذلك لأن نشر مثل تلك الحوارات بين العامة يشيع روح المساجلة السلبية والتربصية، ويهدم أكثر مما يبني، ولأن كسب القلوب -على الأقل في الإسلام- مقدم على كسب المواقف، والمحاور قد يفحم خصمه لكنه لا يقنعه، وقد يسكته بحجة ولكنه لا يكسب تسليمه وإذعانه، فأسلوب التحدي يمنع التسليم»[(٢)].

وقد سلك مسلك الإفحام مؤمن بني إسرائيل لما حاجّهم في عزمهم قتل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما دعاهم، حين قال لهم: ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾ [غافر: ٢٩].

---

(١) أصول الحوار وآدابه في الإسلام: (ص٧).

(٢) أصول الحوار وآدابه في الإسلام: (ص٢٦).

المطلب الخامس: الحوار النقدي الاستفزازي

هذا النوع من الحوار يقوم على تتبع الأطراف مثالب بعضها، بحيث يُعَرِّض كل طرف بالطرف الآخر ويثير له ما يراه محرجًا له، أو يُنقص من مكانته.

وقد سلك مثل هذا المسلك فرعون مع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فإنه لما دعاه إلى التوحيد ونبذ ما هو عليه من الطغيان أراد أن يذكر صفات وأفعالًا لموسى قبل بعثته يراها فرعون طعنًا في موسى، فذكره بما كان عليه في صباه من عدم الإفصاح فوصفه بأنه: ﴿ لَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ [الزخرف: ٥٢]، وذكره بقتله الغلام قبل بعثته عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال له: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩]، فإن إبهام فرعون للفعلة -التي هي قتل موسى القبطيَّ - يقصد من ورائه تهويل الواقعة وتعظيم شأنها[١].

ويلاحظ المشاركون في مؤتمرات الحوار بين أتباع الأديان المختلفة أن البعض يجتهد في تصيد ما يراه خطأً وعيبًا عند أتباع الدين الآخر فيشنعه بطريقة مستفزة، مستحضرًا أساليب النقد الحادة التي تضطر الطرف المقابل إلى المواجهة بالمثل؛ فيتحول الحوار إلى مشاحنات وانتقادات لا طائل من ورائها.

---

(١) تفسير البحر المحيط: (٧/ ٢)، والتفسير الكبير للرازي: (٢٤/ ١٠٩).

المطلب السادس: الحوار الاستعدائي التخويفي

من أنواع الحوار القديمة والحديثة: الحوار الاستعدائي التخويفي، والذي يقوم على تخويف المحاور وتهديده.

وفي الفترة الأخيرة عمد بعض المحاورين إلى وصم المخالف بالإرهاب وتأييد الجماعات التي تنتهج العنف والقتل والتفجير والتدمير لمجرد مخالفته لآراء الطرف الآخر الذي يحاوره، بل لم يقتصر الأمر على ذلك، وإنما امتد لمحاولة استعداء القوى العالمية المختلفة لإرغامه على قبول رأي من يحاوره، أو أن يتم تصنيفه بدعم التطرف والإرهاب[١].

وقد جرى المتأخرون في ذلك على سَنن المتقدمين، فقد كان أعداء الرسل يستعدون عليهم وعلى أتباعهم الشعوب التي أرسلوا إليها، ويخوفونهم أيما تخويف؛ فخوفوا بالتشريد عن الأوطان وهو أمر غاية في الصعوبة بدليل تسويتهم له بالعودة في الكفر[٢]، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ﴾ [إبراهيم: ١٣]، فخوف قوم شعيب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ له به فقالوا في حوارهم معه: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف: ٨٨]، وبالتشريد أيضا هدد قوم لوط له لما دعاهم: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴾ [الشعراء: ١٦٧]، ولم يزل كفار قريش يكيدون لإخراج نبينا محمد ﷺ كما قال الله تعالى عنهم: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ [الإسراء: ٧٦].

---

(١) محاضرة مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار بين أتباع الأديان والثقافات: (ص٧).

(٢) تفسير البحر المحيط: (٤/ ٣٤٢).

وليس التشريد فقط هو ما خُوف به المرسلون وإنما بأمور أقسى؛ فهددوا بالرجم كما في قصة لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ [١]، وبه وبالصلب والتقطيع من خلاف كما في قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ [٢]، فالتخويف والتهديد مفزع المحاور العاجز عن مقارعة الحجة بالحجة دائما.

ومن باب الإنصاف ينبغي أيضا أن نشير إلى مسلك بعض من يرون أنفسهم مدافعين في حواراتهم عن الدين والفضيلة، لكنهم يستخدمون أسلوب الاستعداء ضد مخالفيهم في حواراتهم ويصمونهم بالإلحاد والمروق من الدين، والخروج عن الإسلام؛ لمجرد الاختلاف معهم في الموقف من بعض القضايا أو الأشخاص، وهذا مسلك ينافي الإنصاف الذي أمرنا الله تعالى به قوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[المائدة: ٨].

---

(١) كما في [الشعراء: ١١٦].

(٢) كما في [الأعراف: ١٢٤].

المطلب السابع: الحوار التعاوني الإيجابي

هذا النوع من الحوار يقوم على مبدأ احترام الخصوصية الحضارية، ويرى دعاته أن أمم العالم بوسعها التعاون على المشتركات الإنسانية دون المساس بالمميزات الثقافية لبعضها، فمشاكل العالم اليوم البيئية والاقتصادية، والتحديات العلمية، كلها مشاكل أكبر من أن تستطيع أمة بمفردها القضاء عليها، ولا سبيل لذلك إلا من خلال التحاور ومن ثمة التعارف ثم التعاون مع باقي شعوب العالم لحلها.

فلكل أمة ما تقدمه في هذا الخصوص دون أن تتنازل عن هويتها وثوابتها بحيث يصير العالم منتدى حضارات تتعارف وتتعاون وفق توازن المصالح لا القوى؛ من أجل عمران الواقع المادي لكوكب الأرض، مع تمايز هذه الحضارات في الشرائع ومنظومات القيم واللغات والقوميات والمناهج والثقافات، أي: فيما هو من قبيل «عمران النفس البشرية»(١).

وقد ظهر في الآونة الأخيرة دعاة لمثل هذا الحوار في المجتمعات المسلمة خصوصا، ولاقت دعواتهم سماعا وقبولا من لدن فئات متعددة في المجتمعات الأخرى، وسيأتي في المبحث التالي مزيد توضيح لهذا الصنف من الحوارات من خلال العرض لبعض نماذجه المعاصرة.



(١) في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام: (ص١٧٣).

المبحث الثاني: مبادرات الحوار

«مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار بين أتباع الأديان والثقافات» نموذجا

تمهيد:

لقد ظهرت في العقود الأخيرة نظريات مختلفة المشارب والمرامي تتعلق برؤية الاختلاف الحاصل بين الحضارات القائمة على وجه كوكبنا الأرضي، فكان من تلك النظريات ما يقوم على فرضية حتمية الصدام بين الحضارات؛ كما روج لها "هنتنجتون" و"بابيز" و"برناد لويس" و"فرانسيس فوكوياما"، وتقوم نظرية هؤلاء على اعتبار الحضارة الغربية القاعدة الأساسية لوجهة العالم الحضارية، والتنكر لحق الآخرين الحضاري في الاختلاف[(١)]، وقد لاقت نظريات هؤلاء انتقادات عديدة لا نطيل بذكرها، أبرزها اتهامها بالعنصرية تجاه الأنماط الثقافية المغايرة للغرب[(٢)].

كما شهد العالم دعوات متعددة للحوار بين أتباع الأديان فكانت حوارات الفاتيكان ١٩٧٨م، وليدز الإنجليزية في ٢٠٠٢م، وليون الفرنسية ٢٠٠٥م، وغيرها من اللقاءات في ميلانو ونابولي[(٣)].

ومن آخر دعوات الحوار الكبيرة الرامية إلى دحض نظرية صراع الحضارة دعوة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبدالعزيز آل سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ التي أطلقها في الشهر الثاني من عام ١٤٢٩هـ[(٤)].

---

(١) الإسلام والحوار مع الحضارات المعاصرة: ص(٦٣-٨٠)، وحوار الثقافات (إدارة الأجندات والسيناريوهات المتنازعة): (ص١٢٤).

(٢) ينظر: الإسلام والحوار مع الحضارات المعاصرة: ص(٥٦-٧٦)، وحوار الثقافات (إدارة الأجندات والسيناريوهات المتنازعة): (ص ١٢٤-١٢٥).

(٣) تجارب من الحوار الحضاري عبر التاريخ: (ص ٧-٨).

(٤) محاضرة مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار بين أتباع الأديان والثقافات: (ص٣).

المطلب الأول: فكرة المبادرة ومراحلها

المسألة الأولى: فكرة المبادرة:

إن ما يعانيه العالم اليوم من أزمات وحروب ومشكلات كفيل بدفع عقلاء العالم وحكمائه إلى التأمل والتفكير العميق في إيجاد حلول تنقذ البشرية من التردي في الهوة التي هي على شفاها، وخادم الحرمين الشريفين بحكم اهتمامه الشخصي والثقل الملقى على عاتقه من تحمله المسؤولية عن قيادة المملكة العربية السعودية حيث قبلة المسلمين ومهبط الوحي المطهر، ومحط أنظار الشعوب الإسلامية خصوصا وشعوب العالم أجمع، كان لابد أن يسعى جهده في الوصول إلى رؤية تحمي الكرامة الإنسانية، وتعزز التعاون بين بني البشر، فأوصله تأمله في تاريخ التعاون بين المجتمعات، وبعد نظره، إلى أن السبيل الوحيد للتعاون هو الحوار الإيجابي المنطلق من فكرة قبول التعددية وإمكانية التعاون والعيش المشترك، مع حفظ الخصوصيات، وأن بوسع الأديان أن تؤدي دورا كبيرا في هذا المسعى، فأطلق مبادرته حول الحوار بين أتباع الأديان والثقافات بعد تفكير طويل ومشاورات معمقة لنخبة من علماء الإسلام ومفكريه[١].

وقد انطلقت هذه المبادرة في رؤيتها هذه من الفهم العميق لنصوص الشرع وقواعده الكلية، مع الإدراك التام والواعي لسنن الله الكونية؛ فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات: ١٣] وهذا يدفع المسلمين في كل زمان إلى التحاور مع الآخرين؛ لاستكشاف ما

(١) محاضرة مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار بين أتباع الأديان والثقافات: (ص٣).

لديهم، والتمييز بين الغث منه والسمين، ومن ثم التعاون معهم على ما يجلب المصالح للعباد ويدفع عنهم المفاسد، عملًا بقوله جلّ شأنه: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢] من خلال تقديم ما لدى المسلمين من قيم حضارية وآليات اجتماعية صالحة لإسعاد البشرية جمعاء، من غير إهمال لسنة الاختلاف الواردة في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ﴾ [هود: ١١٨-١١٩].

والمبادرة بهذه الرؤية ترسم منهجية النبي ﷺ في إرسائه قواعد التعامل مع الموجودين في الدولة الإسلامية من غير المسلمين حين عاهد النبي ﷺ يهود المدينة وغيرهم، ومع غيرهم عبر إرساله الرسل إلى الأمم الموجودة آنذاك.

المسألة الثانية: مراحل المبادرة:

كان إطلاق مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار بين أتباع الأديان والثقافات في عام ١٤٢٩هـ، وبالرغم من القصر النسبي لعمر هذه المبادرة إلا أن تعطش العالم إلى صوت يدعو لنشر التسامح والحوار، ونبذ العنف والعنصرية، جعل هذه المبادرة تمر بمراحل متسارعة يمكن إجمالها في المراحل الآتية:

المرحلة الأولى: مرحلة الإعداد الداخلي:

كان لزاما على هذه المبادرة العالمية كونها صادرة من قلب العالم الإسلامي أن تعمل أولًا على إعداد الصف الداخلي للأمة الإسلامية وتهيئته للدخول في مثل هذه الحوارات مع أتباع الأديان والثقافات المختلفة؛ فنظمت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي برعاية كريمة من صاحب المبادرة خادم الحرمين الشريفين «**المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار**» في الفترة من ١٤٢٩/٥/٣٠هـ إلى



٢/ ٦/ ١٤٢٩ هـ في مكة المكرمة، تدارست السبلَ الكفيلة بإنجاح الحوار فيه أكثرُ من خمسمائة شخصية إسلامية بارزة من العلماء والفقهاء والدعاة والمثقفين ومسؤولي المراكز والجمعيات الإسلامية ومراكز البحث ومؤسسات الحوار وأساتذة الجامعات، وخرج المؤتمرون بتوصيات، من أبرزها: التوصية بتكوين هيئة عالمية للحوار، تضم الجهات الرئيسة المعنية بالحوار في الأمة الإسلامية، وذلك لوضع استراتيجية موحدة للحوار ومتابعة شؤونه وتنشيطه والتنسيق والتعاون في ذلك مع الجهات المعنية به.

المرحلة الثانية: عرض المبادرة عالميا:

بعد إعداد الصف الداخلي وتبنيه للمبادرة انتقلت المبادرة من الإطار الإقليمي إلى الإطار الدولي بغية عرض المبادرة؛ فنظمت رابطة العالم الإسلامي بدعوة ورعاية كريمة من خادم الحرمين «**المؤتمر العالمي للحوار بين أتباع الديانات والثقافات العالمية**» في مدريد بإسبانيا في الفترة ١٣-١٥/ ٧/ ١٤٢٩هـ، شاركت فيه ثلاثمائة شخصية سياسية ودينية وفكرية من مختلف الأديان والثقافات، وقد نالت المبادرة ثقة المشاركين وخرجوا بتوصيات تعزز ما تدعو إليه المبادرة خصوصا:

- ما يتعلق بنشر التسامح، ورفض النظريات التي تدعو إلى الصراع بين الحضارات والثقافات.
- ضرورة التعاون من أجل إسعاد البشرية.

المرحلة الثالثة: الاعتراف العالمي بالمبادرة:

بعد اكتمال النضج السياسي والعلمي للمبادرة، تم عرضها على الجمعية العامة للأمم المتحدة في اجتماع استثنائي عقد على أساس هذه المبادرة العالمية،

حضر هذا الاجتماع حشد من قادة الدول ورؤساء الحكومات ورؤساء الهيئات الدولية، وأكد المجتمعون أهمية الحوار في إرساء السلم الدولي وأشادوا بالمبادرة والجهود الكبيرة التي يقوم بها خادم الحرمين الشريفين في هذا الصدد.

المرحلة الرابعة: مرحلة تنفيذ المبادرة:

بدأ التطبيق العملي للمبادرة باجتماع علماء ورجال دين يمثلون الأديان والثقافات والحضارات المختلفة في العالم بدعوة من رابطة العالم الإسلامي في فينا بالنمسا في الفترة ٢٠-٢١/ ٧/ ١٤٣٠هـ، خصص للتداول في الخطوات العملية المشتركة التي يتحتم القيام بها لتفعيل المبادرة العالمية التي لاقت تأييدًا وتقديرًا كبيرين من المؤسسات والمراجع الدينية على مستوى العالم كله، وقد تدارس المجتمعون جملة من القضايا منها الحريات الدينية، والمسؤوليات المشتركة للمحافظة على البيئة والتراث الإنساني، والحوار كأداة لتحقيق السلام والمصالحة، ودور المرأة والشباب في الحوار، والكرامة الإنسانية في المجتمع.

بعد هذا الاجتماع بنحو ثلاثة أشهر عقد بجنيف بسويسرا مؤتمر: «**مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار وأثرها في إشاعة القيم الإنسانية**» شاركت فيه ثلاثمائة من الشخصيات الدينية والأكاديمية تمثل مختلف الأديان والثقافات، ودعا المؤتمر في بيانه الختامي القيادات الدينية والحضارية في العالم إلى مزيد من التأمل والتفاعل مع مبادرة خادم الحرمين الشريفين، وخرج بتوصيات هامة تدعو إلى تحلي وسائل الإعلام بالموضوعية والمصداقية، والابتعاد عن الترويج لثقافة العنف وعرض الأعمال الفنية العنيفة، والكف عن حملات التهجم على الأديان ورموزها.

ثم في باريس بفرنسا ومن خلال منظمة الأمم المتحدة للثقافة والعلوم (اليونسكو) تم إطلاق برنامج عبدالله بن عبدالعزيز العالمي لتعزيز ثقافة الحوار والسلام الذي تبرع له خادم الحرمين الشريفين بمبلغ خمسة ملايين دولار أمريكي[1]، ليشكل هذا البرنامج لبنة أخرى في صرح هذه المبادرة العالمية.

ثم جرى بعد ذلك تنفيذ المراحل النهائية للمبادرة بإنشاء **«مركز الملك عبد الله لحوار الأديان»** في فيينا بسويسرا كما ذكر معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي أثناء لقائه بممثلي الديانات والثقافات بالصين[2]، وقد رحب وزير الخارجية السويسري بإنشاء المركز في بلاده، واصفًا ذلك بأنه شرف عظيم لبلاده[3].

---

(١) صحيفة الجزيرة: العدد (١٣٨٩٣)، بتاريخ: ٤/ ١١/ ١٤٣١هـ.

(٢) جريدة الرياض العدد (١٥٤٥٣)، بتاريخ: ٧/ ١١/ ١٤٣١هـ، وصحيفة عكاظ: العدد (٣٣٩٠)، بتاريخ: ١٩/ ١٠/ ١٤٣١هـ.

(٣) جريدة الرياض العدد (١٥٤٣٤)، بتاريخ: ١٧/ ١٠/ ١٤٣١هـ.

المطلب الثاني: أبرز آثار مبادرة خادم الحرمين للحوار

١- إعادة الاعتبار لفكرة الحوار التعاوني الإيجابي البناء، بديلا عن فكرة الصراع والمواجهة التي روج لها بعض المتطرفين في الغرب وحتى في العالم الإسلامي.

٢- إضعاف حجة المتطرفين في الغرب الذين يزعمون رفض المسلمين للحوار؛ فهاهي ذي المملكة العربية السعودية قائدة العالم الإسلامي تدعو للحوار وتنظم مؤتمراته وتدعو أتباع مختلف الأديان والثقافات له، رغم ما كانت تتهم به من عدم قبول للآخر، والتقوقع على الذات.

٣- سحب زمام المبادرة من الغلاة والإرهابيين والمتطرفين الذين أساؤوا إلى الإسلام وأظهروه بمظهر الرافض للحوار، وخطفوا أنظار العالم وشغلوا وسائل الإعلام بمتابعة جرائمهم من الخطف والذبح والتفجير والتدمير، فجاءت هذه المبادرة لتعمل على إعادة الأمور إلى نصابها بحيث تأتي من العالم الإسلامي أخبار عن التسامح والحوار بدل القتل والدمار.

٤- تخفيف الضغط على المسلمين في الغرب الذين يقدرون بخمسين مليون مسلم، وهم أكثر من يعاني من حالة التوتر بين الغرب والعالم الإسلامي، فكانت هذه المبادرة بادرة أمل لهم ليستطيعوا العيش في بلدانهم ويجمعوا بين الهوية الإسلامية والانتماء الوطني لبلدانهم من غير أن يضطروا إلى أمور أحلاها مر: الهجرة، أو الذوبان، أو المواجهة.



الخاتمة

الحمد لله أولا وأخيرا، وله الحمد على أن سدد وأعان، وأسأله العفو عما كان في البحث من سهو أو خطأ أو نسيان.

ثم إني أعدد في نهاية هذا البحث أبرز ما تطرق إليه على النحو الآتي:

- الحوار منهجية ربانية، ربَّى الله عليها هذه الأمة من خلال الكثرة الكاثرة من الحوارات في القرآن الكريم محطٍّ أنظار المسلمين في كل حين وآن.
- الحوار في الإسلام منهج متبع في جميع الأحوال: حال القوة والازدهار، وحال الضعف والانحسار؛ فقد حاور النبي ﷺ قريشا قبل الهجرة، وحاور يهود المدينة حين قدومه عليها، وحاور نصارى نجران في آخر العهد المدني، وحاور الصحابة من بعده والتابعون أقوامَ البلدان التي كانوا يأتون لفتحها.
- من أبرز أصول الحوار في القرآن الكريم:
  - الأمر بالتعارف بين الناس أجمعهم.
  - الحث على البر بغير المحاربين من غير المسلمين.
  - الأمر بالتعاون على أوجه الخير المختلفة حتى مع غير المسلمين.
  - التأسي بالنبي ﷺ وسائر الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في محاورتهم مع غير المسلمين.
- موضوعات الحوار في الإسلام لا تقتصر على الأمور الدعوية المباشرة: كالتوحيد، وإقامة الشعائر، ورد الشبهات، ونحو ذلك، بل تتجاوز ذلك إلى الموضوعات المتعلقة بالمشترك الإنساني: كعمارة الأرض عبر المحافظة على البيئة،

وصيانة المجتمعات من الانحلال المؤذن بالزوال، ونشر العلم والمعرفة بين الناس، ومحاربة الظلم والاحتلال.

- الحوار في القرآن الكريم تتجلى فيه آداب جمة وعظيمة، أبرزها:

- احترام المحاور أيا كان دينه أو ثقافته.

- تعزيز نقاط الاشتراك والبناء عليها والإقرار بوجود الاختلاف.

- القول بأن الحوار أهم وسائل عرض وجهات النظر رأي كالمجمع عليه، إلا أن الناس عند التطبيق يختلفون في الممارسة؛ ولذا فقد عرفت المجتمعات أشكالا مختلفة من الحوار تتباين من حيث مدى الاعتراف بالآخر وقبول التمايز الثقافي.

- من أحدث دعوات الحوار ذات الصيت والشهرة العالمية مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار بين أتباع الأديان الثقافات.

- لقد مرت هذه المبادرة بمراحل متعددة، وتمخضت عنها آثار كبيرة أبرزها:

- إضعاف حجة المتطرفين في الغرب الذين يزعمون رفض المسلمين للحوار.

- سحب زمام المبادرة من الغلاة والإرهابيين والمتطرفين الذين أساؤوا إلى الإسلام وأظهروه بمظهر الرافض للحوار.

- تخفيف الضغط على المسلمين في الغرب، لمنحهم فرصة للعيش في أوطانهم متمسكين بهويتهم الإسلامية ومندمجين في مجتمعاتهم.



وفي ختام هذا البحث أعدد جملة من المنطلقات أراها صالحة لتكون أساسا لحوار بناء بين أتباع الأديان والثقافات:

- الإيمان بالله رب العالمين.
- الإيمان بوحدة الأصل بين البشرية.
- الإيمان بالكرامة الإنسانية.
- الإيمان بمهمة الاستخلاف في الأرض.
- الإيمان بضرورة التعايش المنصف والآمن بين المجتمعات.



قائمة المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: سعيد المندوب، لبنان، دار الفكر، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٣- أحكام القرآن، لأحمد بن علي الرازي الجصاص، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ.

٤- أحكام القرآن، للكيا الهراسى على بن محمد، تحقيق: موسى محمد علي - عزت عبده عطية، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ.

٥- أحكام القرآن، لمحمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٠هـ.

٦- أحكام القرآن، لمحمد بن عبدالله المعروف بابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت.

٧- الإحكام في أصول الأحكام، لعلي بن أبي علي الآمدي، عني به جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٨- الإحكام في أصول الأحكام، لعلي بن أحمد بن حزم الظاهري دار الكتب العلمية، بيروت.

٩- إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، بيروت، دار المعرفة.

١٠- آداب البحث والمناظرة، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، تحقيق: سعود بن عبدالعزيز العريفي، دار عالم الفوائد.

١١- الإسلام والحوار مع الحضارات المعاصرة، د. محمد خليفة حسن، سلسلة مركز الدراسات الحضارية، جامعة الأزهر، القاهرة.

١٢- أصول الحوار وآدابه في الإسلام، صالح بن عبدالله بن حميد، دار المنارة، جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

١٣- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع، بيروت، الطبعة: ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥م .

١٤- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لجابر بن موسى أبي بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١٥- تاريخ بغداد، لأحمد بن علي البغدادي، بيروت، دار الكتب العلمية.

١٦- تجارب من الحوار الحضاري عبر التاريخ، د.جواد محمد الخالصي، بحث مقدم للمؤتمر الإسلامي العالمي للحوار المنعقد في رابطة العالم الإسلامي في الفترة: ٣٠/ ٥/ ١٤٢٩هـ-٢/ ٦/ ١٤٢٩هـ.

١٧- التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م.

١٨- التسهيل لعلوم التنزيل، لمحمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي (ت٧٤١هـ)، لبنان، دار الكتاب العربي، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

١٩- التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.



٢٠- تفسير ابن أبى حاتم، لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب،صيدا، المكتبة العصرية.

٢١- تفسير ابن السعدي، المسمى تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبدالرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠ م.

٢٢- تفسير ابن كثير المسمى تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: محمود حسن، دار الفكر، الطبعة الجديدة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٢٣- تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسى، دار الفكر.

٢٤- تفسير البيضاوي، المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لعبدالله بن عمر الشيرازي البيضاوي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي.

٢٥- تفسير الثعالبي المسمى الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لعبد الرحمن بن محمد الثعالبي، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

٢٦- تفسير الجلالين، لجلال الدين المحلي، وجلال السيوطي، القاهرة، دار الحديث.

٢٧- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ-١٩٧٩م.

٢٨- تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٢٩- تفسير العز بن عبد السلام تفسير القرآن، الإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، تحقيق الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، بيروت، دار ابن حزم،الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ -١٩٩٦م.

٣٠- تفسير القرآن العزيز، لمحمد بن عبد الله بن أبي زمنين، تحقيق: أبي عبد الله حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز، القاهرة، الفاروق الحديثة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٣١- تفسير القرآن، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤١٠هـ.

٣٢- تفسير القرآن، لمنصور بن محمد السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الرياض، دار الوطن ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٣٣- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، (ت ٦٠٤هـ)، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٣٤- تفسير الماوردي المسمى النكت والعيون، لعلي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت، دار الكتب العلمية.

٣٥- تفسير المراغي، للشيخ/ أحمد مصطفى المراغي، مصر، مصطفى البابى الحلبي وأولاده.

٣٦- تفسير المنار، لمحمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٣٧- تفسير النسفي، لعبد الله بن أحمد النسفي، تحقيق: مروان محمد الشعار، بيروت، دار النفائس، ٢٠٠٥م.

٣٨- التفسير الواضح، للدكتور محمد محمود حجازي، دار الجيل، بيروت، الطبعة السادسة، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.

٣٩- تفسير مقاتل بن سليمان، لمقاتل بن سليمان بن بشير، تحقيق: أحمد فريد، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٤٠- تكملة أضواء البيان، لعطية محمد سالم، مطبوع ضمن أضواء البيان للشنقيطي.

٤١- التمهيد في أصول الفقه، لمحفوظ بن أحمد أبي الخطاب الكلوذاني، دراسة وتحقيق: د/ مفيد محمد أبي عمشة، دار المدني، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.

٤٢- التوقيف على مهمات التعاريف، لمحمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د.محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر - بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٤٣- ثقافة الحوار في الإسلام من التأسيس إلى التأصيل، لمحمد الكتاني، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٤٤- الجامع الصحيح، لمحمد بن إسماعيل البخاري، عني به أبو صهيب الكرمي، الرياض، بيت الأفكار الدولية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٤٥- الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: هشام سمير البخاري، الرياض، دار عالم الكتب، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.

٤٦- حوار الأنبياء مع أقوامهم في القرآن الكريم (رسالة دكتوراه في التفسير)، عبده عبدالله محمد الحميدي، مكتبة الإرشاد، صنعاء.

٤٧- حوار الثقافات (إدارة الأجندات والسيناريوهات المتنازعة)، أ. د/ حسن وجيه، دمشق، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٤٨- الحوار في الإسلام، للدكتور حسين حامد حسان، بحث مقدم في المؤتمر العالمي للحوار بمدريد، منشورات رابطة العالم الإسلامي.

٤٩- الحوار في الإسلام، للأستاذ الدكتور/ عبدالله بن حسين الموجان، جدة، مركز الكون، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٥٠- الحوار في السيرة النبوية، للدكتور السيد علي خضر، الرياض، المركز العالمي للتعريف بالرسول ﷺ ونصرته، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

٥١- الحوار في القرآن؛ معالمه وأهدافه، للدكتورة سناء بنت محمود عبدالله عابد، رسالة مقدمة لنيل الدكتوراه، من كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٥٢- الحوار وآدابه في الإسلام، للدكتور عبد الله بن سليمان المشوخي، الرياض، العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٥٣- الحوار؛ آدابه ومنطلقاته وتربية الأبناء عليه، أ. محمد شمس الدين خوجة، الرياض، مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٥٤- الدر المنثور، لعبد الرحمن بن الكمال السيوطي، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٣م.

٥٥- ديوان لبيد بن ربيعة العامري، بيروت، دار صادر.

٥٦- الرحيق المختوم، للشيخ صفي الدين المباركفوري، مصر، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة السابعة عشرة، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٥٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لمحمود الألوسي أبو الفضل، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٥٨- زاد المسير في علم التفسير، لعبد الرحمن بن علي الجوزي، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ.

٥٩- زاد المعاد في هدي خير العباد، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، بيروت- مؤسسة الرسالة، والكويت - مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٦٠- السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين بن علي البيهقي، حيدر آباد، مجلس دائرة المعارف النظامية، الطبعة الأولى، ١٣٤٤ هـ.

٦١- السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، لعلي بن برهان الدين الحلبي، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٠هـ.

٦٢- السيرة النبوية، لإسماعيل بن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة.

٦٣- السيرة النبوية، لمحمد بن إسحاق، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

٦٤- السيرة النبوية، لعبد الملك بن هشام الشهير بابن هشام (ت ٢١٣هـ)، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ.

٦٥- شرح صحيح البخاري، لعلي بن خلف بن بطال، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، الرياض، مكتبة الرشد، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٦٦- شركاء لا أوصياء، أ.د/ حامد بن أحمد الرفاعي، منشورات المنتدى الإسلامي العالمي للحوار، العدد ٢٤، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٦٧- الصحاح، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: د/ إميل بديع يعقوب، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٦٨- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج النيسابوري، عني به أبو صهيب الكرمي، الرياض، بيت الأفكار الدولية، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٦٩- ضوابط الحوار في الفكر الإسلامي، د/ مفرح بن سليمان القوسي، الرياض، منشورات مركز الملك عبد العزيز للحوار، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

٧٠- العدة في أصول الفقه، لأبي يعلى محمد بن الحسين الفراء، تحقيق: د/ أحمد بن علي سمير المباركي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٧١- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للحسن بن محمد القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ- ١٩٩٦ م.

٧٢- غريب الحديث، لقاسم بن سلام الهروي، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ.

٧٣- الفائق في غريب الحديث والأثر، لمحمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: علي محمد البجاوي و محمد أبي الفضل إبراهيم، لبنان، دار المعرفة، الطبعة الثانية.

٧٤- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر، بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.

٧٥- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني، بيروت، دار الفكر.

٧٦- الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق، لأحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

٧٧- فقه السيرة، لمحمد الغزالي، مصر، دار نهضة، الطبعة الأولى.

٧٨- في أصول الحوار، إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م.

٧٩- في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام، للدكتور محمد عمارة، القاهرة، مكتبة الشروق، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٨٠- فيض القدير، لمحمد عبد الرؤوف المناوي، عني به: أحمد عبد السلام، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.

٨١- القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

٨٢- قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن، لمرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي، تحقيق: سامي عطا حسن، الكويت، دار القرآن الكريم، ١٤٠٠هـ.

٨٣- الكشف والبيان، لأحمد بن محمد النيسابوري، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م.

٨٤- اللباب في علوم الكتاب، لعمر بن علي بن عادل، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

٨٥- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور، بيروت، دار صادر، الطبعة الأولى.

٨٦- محاضرة مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار بين أتباع الأديان والثقافات؛ أبعادها وآثارها، محاضرة ألقاها أ.د/ عادل بن علي الشدي الأمين العام للمركز العالمي للتعريف بالرسول ﷺ ونصرته ضمن فعاليات معرض القاهرة الدولي للكتاب لعام ١٤٣١هـ.

٨٧- المحصول في علم أصول الفقه، لمحمد بن عمر الحسين الرازي، تحقيق: طه جابر فياض العلواني، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٨٨- المصباح المضيء في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، لمحمد بن علي بن حديدة الأنصاري، تحقيق: محمد عظيم الدين،



بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٥هـ.

٨٩- معالم التنزيل، للحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦ هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع،الطبعة الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.

٩٠- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، إخراج: إبراهيم أنيس وزملائه، عني بطبعه ونشره: عبدالله الأنصاري، إدارة إحياء التراث بقطر.

٩١- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، بيروت، دار المعرفة.

٩٢- النظام السياسي في الإسلام، لمجموعة من أعضاء هيئة التدريس بقسم الدراسات الإسلامية بجامعة الملك سعود، الرياض، مدار الوطن، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٩٣- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبدالرزاق غالب المهدي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥ م.

٩٤- نهاية الأرب في فنون الأدب، لمحمد بن عبدالوهاب النويري، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م.

٩٥- نواسخ القرآن، للعلامة ابن الجوزي، تحقيق ودراسة: محمد أشرف الملباري، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.



الجرائد:

٩٦- جريدة الرياض، الأعداد: ١٥١٩١، ١٥٤٣٤، ١٥٤٥٣.

٩٧- صحيفة الاقتصادية الإلكترونية: العدد: ٦١٩٦، بتاريخ: ١٩/ ١٠/ ١٤٣١هـ.

٩٨- صحيفة الجزيرة: العدد ١٣٨٩٣، بتاريخ: ٤/ ١١/ ١٤٣١هـ

٩٩- صحيفة عكاظ: العدد ٣٣٩٠، بتاريخ: ١٩/ ١٠/ ١٤٣١هـ.

١٠٠- المسلم المعاصر، ربيع الثاني ١٣٩٥هـ إبريل ١٩٧٥م.



فهرس الموضوعات

